الرِّسَالَةُ

فِي القَضَاءِ والْقَدَرِ

للشَّيْخِ كَمَالِ الدِّينِ عَبْدِ الرَّزاقِ الكاشاني

(المتوفى في ٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م)

تحقيق ودراسة

الدكتورة

نورشيف عبد الرحيم رفعت

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وحامل لواء الحق ولواء الدين، صاحب الرسالة الكاملة والخاتمة المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه وآل بيته الطيبين وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

هذا العمل الذي بين أيدينا يقدم لأول مرة تحقيقاً لـ "رسالة في القضاء والقدر" لأحد أعلام التصوف وشراحه وهو الشيخ عبد الرزاق الكاشاني الذي ظل غير معروف لكثير من الباحثين حيث أنه لم يَرد في كتب الطبقات أو كتب التصوف أية إشارة عنه.

وهذا العالم الصوفي الجليل هو صاحب شرح منازل السائرين للشيخ الهروي، وشارح فصوص الحِكَم للشيخ محيي الدين بن عربي، ومؤلف كتاب اصطلاحات الصوفية، وغيرها من الكتب والرسائل التي نصت عليها المحققة في ثبت مؤلفاته.

وعلى الرغم مما بقي لنا من تراث الشيخ وهو كثير نسبياً. فإننا لا نشك في أن ما ضاع منه يعد أكثر بكثير مما هو في متناول أيدي الباحثين وطلاب العلم اليوم؛ ويبدو أن الشيخ الكاشاني كان من التواضع، ومن الزهد في الشهرة إلى حدٍ جعله غير معروف في جيله، وغير معروف كذلك للأجيال اللاحقة الأخرى، إلى درجةٍ أن أحدًا من كُتّاب طبقات الصوفية والمؤرخين لرجال التصوف لم يترجَم له، ولم يشر إليه ولو مجرد إشارة.

وكم من صاحب علم وفضل عاش مغموراً، وربما مات مقهوراً؛ وكم من علوم ضاعت، وطُوِي ذِكر أصحابها؛ وكم من غثاثاتٍ عُلِّقت محلّ

الرايات؛ وكم من [illegible] رُزِئَ بهم العلم، وتقطَّع قلبه أسفاً على نفسه من جراءتهم و[illegible].

ومن كرامة [illegible] الثابتات على الله، أنه تعالى يهيئ لهم، ولو بعد حين، من يحيي ذكرهم، [illegible] في الناس علمهم وفضلهم، ويعكف على التنقيب عن آثارهم لتحقيقها ونشرها، "... يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ" [المجادلة: ١١]. ويقول الإمام علي- كرم الله وجهه- في وصيته لكميل: "يا كُمَيْل هلك خُزّان الأموال وهم أحياءٌ، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة". (نهج البلاغة: ٤/ ٧٥).

ولقد هيأ الله تعالى الدكتورة نورشيف عبد الرحيم رفعت للكتابة عن الشيخ الكاشاني، وتحقيق أحد مؤلفاته، وإخراجه على هذا النحو الذي يليق بمكانة كاتبه العالية، وفي هذا العمل دلالة واضحة على إخلاص المحققة وعلى التقائها مع الشيخ الكاشاني في الروح الصوفية، وفي دقة النظر، وعمق الفكرة، وإحكام الأسلوب؛ وإننا لنرجوا لها المزيد من هذه الكتابات العلمية الجادة التي تعودناها منها، ونسأل الله عز وجل أن يبلغ بها ما تريده، وما نريده لها ومنها، من الفضل واليقين ومزيد التوفيق والسداد.

الأستاذ الدكتور محمد أبو ليلة

أستاذ الدراسات الإسلامية باللغة الإنجليزية

[illegible] اللغة الإنجليزية وآدابها - جامعة الأزهر

الكاشاني

حياته وعلمه

مقدمة

الكاشانى أو القاشانى من مشايخ التصوف أدباً وعلماً؛ ارتبط اسمه علمياً ببعض كبار أئمة الصوفية؛ فقد قدّم شرحاً رائعاً لكتاب "منازل السائرين" للشيخ الهروى، وكتاب "فصوص الحكم" للشيخ محيى الدين بن عربي، كما شرح تائية الشاعر الصوفى المتوله ابن الفارض؛ والواقع أن تراث الكاشاني يدل دلالة واضحة على سعة اطلاعه، ودقة فهمه وتذوقه، وإلمامه بكل ما عرض له في مؤلفاته، وربما كان هذا هو السر الذي دفع به إلى اتخاذ جانب الشرح للنصوص الصوفية، آخذين في الاعتبار أن اللغة الصوفية في قمتها انها تعبيرات خاصة وتراكيب معقدة لا يصل إلى فهمها إلا من توفرت لهم معرفة بالتراث الصوفي والأساليب الصوفية، وكان لهم إلى جانب ذلك تذوق لها، ووجدانات ومشارب صوفية.

أما حياة هذا العالم الكبير فغير معروفة لنا إذ لم يترجم له أصحاب كتب الطبقات ولم ترد له ترجمة كذلك فى كتب معاصريه وكتب اللاحقين من مؤرخى الإسلام فيما نعلم. وتقتصر مصادر حياته المقتضبة على "روضات الجنان" ترجمة رقم ٣٥٣، هفت إقليم ترجمة رقم ٩٠٣، نفحات جامى ترجمة رقم ٣٥٧- ٣٦٨؛ وفى العصر الحديث كتب عنه ماكدونالد فى

دائرة المعارف الإسلامية، وأشار إلي أعماله كارل بروكلمان، وحاجى خليفة وعمر كحالة، والزركلى.

ولولا أن كُتبه، أو بعضها على الأقل، قد وصل إلينا من خلال المخطوطات التى احتفظت بها بعض المكتبات الكبرى فى العالم، لما عرفنا شيئاً عن هذا العالم الفذ الذى لم تخرج شهرته عن مجال تلامذته، والذين لم يعطوا أستاذهم حقه عليهم من نقل علومه ومن التعريف بفضله؛ وكما يقول الدكتور محمد أبو ليلة فى تعليقه على ترجمته للرسالة إلي اللغة الإنجليزية:

"فإن كتب الكاشانى هي التى تعرف به، وتشهد بفضله وتواضعه، وتدل بحق على مقدرته الفائقة فى التركيز والاختصار والموسوعية والتبحر فى العلوم التى كانت رائجة فى عصره".

اسمه ونسبه

أما بالنسبة لاسمه ونسبه، فإن اسمه قد رُسِم في المخطوطـ.. المتاحة لنا و في المصادر القليلة التي ورد ذكره فيها بشيء من الاختلاف. فهو "كمال" أو "جمال الدين عبد الرزاق أحمد بن أبى الفضائل" أو "أبى الغنائم الكاشانى" أو "القاشانى".

ولد فى كاشان فى تاريخ غير معروف، ومات بها بعد عام ٧٢٠هـ. ١٣٣٠م، وقيل عام ٧٣٥هـ. ١٣٣٥م.

مؤلفاته

عدَّ له بروكلمان عشرين أثراً علمياً تتنوع بين الكتاب والرسالة والقصيدة، أما من حيث الموضوع فتدور كتابات الشيخ الكاشانى حول اصطلاحات الصوفية وشرح كتب كبار مشايخ الصوفية، وتأويلات القرآن والقضاء والقدر وهى على النحو التالى:

١. اصطلاحات الصوفية: جمع فيه الكاشانى المصطلحات الصوفية التى رآها مهمة، ورتبها على حسب حروف أبجد، وجعل كل حرف منها عنواناً للباب، وجاء الكتاب فى ثمانية وعشرين باباً. وجمع الكاشانى هذا الكتاب بعد أن أتم شرح كتاب "منازل السائرين لشيخ الإسلام عبد الله الأنصارى الهروي المتوفى (٣٩٦ - ٤٨١هـ.

١٠٠٦- ١٠٨٩م) وكتاب "فصوص الحِكَم" للشيخ محيي الدين بن عربي المتوفى عام ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م، و"تأويلات القرآن الحكيم". يقول:

" ..... وبعد فإني لما فرغت من تسويد شرح "كتاب منازل السائرين"، وكان الكلام فيه وفي "شرح فصوص الحكم" و"تأويلات القرآن الحكيم" مبنياً على اصطلاحات الصوفية ولم يتعارفها أكثر أهل العلوم المنقولة والمعقولة ولم تشتهر بينهم، سألوني أن أشرحها لهم، وقد أشرت في ذلك الشرح (أي شرح منازل السائرين) إلي أن الأصول المذكورة في الكتاب (أي كتاب منازل السائرين) من مقامات القوم تتفرع إلي ألف مقام، ولَوَّحْتُ إلي كيفية تفريعها، وما بينت تفاريعها بتنويعها، ولم أُفصِّل فروعَها ودرجاتِها، ولم أُصرّح بصنوفها، وتنويعاتِها، فتصديت للإسعاف بسؤلهم وزدت على ذلك ترويحاً لقبولهم، بيان ما أُجْمِل من ذلك، وتفصيل ما أهمل هنالك فكَسَّرت (قسمت) هذه الرسالة (اصطلاحات الصوفية) على قسمين: قسم في بيان المصطلحات، ما عدا المقامات، فإنها مذكورة في متن الكتاب مشروحة في جميع الأبواب؛ وقسم في بيان التفاريع المذكورة بأسرها، والإشارة إلي ترتيبها وحصرها.[1]:

---

(١) مقدمة القاشاني على اصطلاحات الصوفية بتحقيق محمد كمال إبراهيم جعفر. دار المعارف ١٩٨١ ص٢١

قام بترجمة هذا الكتاب إلي الإنجليزية نبيل صفوت وقد نشره مع النص العربى بلندن عام ١٩١٩م "Octaggon Press" تحت عنوان "The Terminology of Sufiyya".

ونرى من الأهمية بمكان، أن نلفت النظر إلي أن حصر المقامات فى ألف مقام قد أرجعها الشيخ الهروى إلي أبى بكر الكتانى (محمد بن على بن جعفر ت ٣٢٢هـ - ٩٣٣م)، بغداديُّ الأصل، ومن أصحاب الجنيد والخرازي والنوري.[٢]

ثم قام الدكتور كمال جعفر بتحقيق "كتاب اصطلاحات الصوفية" تحقيقاً جيداً استدرك فيه المحقق ما فات على سلفه وأخطأ فيه ...

وذكر أنه كان بإمكان المحقق وهو عالم ثبت أن يغني ... بالدراسات الاصطلاحية الصوفية المقارنة كما تمنى هو نفسه ... لولا عامل الوقت واستحثاث الناشر له[٣]؛ واعتمد المحقق ... "اصطلاحات الصوفية" على أربع مخطوطات للكتاب.

- مخطوطة دار الكتب المصرية تصوف٨٢٧ بتاريخ ١٠٨٢هـ؛
- نسخة أخرى برقم ٣٢٠ تصوف، مجاميع

---

(٢) الرسالة القشيرية فى علم التصوف – بيروت – دار الكتاب العربى ٢٦-٢٧، وانظر أيضا الشعراني ... الكبرى ٩٤/١

(٣) انظر مقدمة المحقق ص٣

(٤) انظر مقدمة اصطلاحات ص ٩

- نسخة أخرى مصورة ومطبوعة بحيدر اباد الدكن [illegible]
- نسخة توجد بمكتبة جامعة القاهرة برقم ٢٤٠١٣ يرجح أنها منقولة عن نسخة حيدر أباد الدكن

نسخة المدرسة النظامية ومن الجدير بالتنويه به أنه توجد مخطوطات أخرى كثيرة لهذا الكتاب تتوزعها مكتبات العالم(٥).

٢. شرح الشيخ كمال الدين عبد الرزاق الكاشاني "كتاب منازل السائرين" لشيخ الإسلام عبد الله الأنصاري الهروي (٣٩٦- ٤٨١ هـ/ ١٠٠٦- ١٠٨٩م)، طبعة حبيب الله موسى جار ، وفي مقدمته لتفسير الشيخ الهروي يقول: "تفسير أدبي وعرفاني"، الذي اختصره من "كشف الأسرار"، إمام أحمد بن بدوى "طبعة إيران ١٣٦٢هـ"، وصفه الكاشاني بقوله: "هذا أعظم كتاب في السير والسلوك".

ويقول الكاشاني: "إنني قرأت عدة نسخ من هذا الكتاب تحتوي على اختلافات، وتحريفات كثيرة وبعناية الله وتوفيقه عثرت على النسخة الأصلية التي كتبت بخط الشيخ الأنصاري في سنة ٤٧٥هـ، وفيها أعطى

(٥) انظر كارل بروكلمان – تاريخ الأدب العربي. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. الهيئة المصرية الكتاب ١٩٩٥ القسم السابع (١٢) ص ٢٣٨ – ٢٤٩.

الشيخ إجازة بحملها ونشرها في الآفاق، وقد بدأت بتوفيق الله أشرح هذا الكتاب"[٦]

ويقول شيخ الإسلام الهروي، صاحب كتاب "منازل السائرين":
"وبعد فإن جماعةً من الراغبين فى الوقوف على منازل السائرين إلي الحق (الله) عزَّ اسمه، من الفقراء (الصوفية)، من أهل هراة والغرباء، طال عليَّ مساءلتهم إياى زماناً أن أبَيِّن لهم فى معرفتها بياناً، يكون على معالمها عنواناً، فأجبتُهم بذلك بعد استخارتى الله واستعانتى به .... وإنى خفت أنى إن أخذت فى شرح قول أبى بكر الكتانى "إن بين العبد والحق ألف مقام من نور وظلمة، طولت عليَّ وعليهم، فذكرت أبنية تلك المقامات التى تشير إلي تمامها، وتدل على مرامها، وأرجو لهم بعد صدق قصدهم ما قال أبو عبد الله البُسْرى[٧] "إن لله عباداً، يريهم فى بداياتهم ما فى نهاياتهم"[٨]؛ وقد حقق هذا الكتاب الدكتور عبد اللطيف العبد، على مخطوط واحد يوجد بالمدرسة النظامية بحيدر أباد.

٣. وللكاشانى كذلك "كشف الوجوه الغر فى شرح تائية ابن الفارض".
طبع غير محقق مرة، ثم طبع مرة أخرى ضمن كتب "نتائج الأفكار

---

(٦) نقلا عن مقدمة "منازل السائرين" بالفارسية؛ وفي هذه المقدمة ذكر الكاشاني – شارح الكتاب– أن الشيخ الهروي صنف كتاب "منازل السائرين" باللغة الفارسية تحت عنوان "كتاب من ميدان" كتب في ٤٤٨هـ

(٧) أبو عبيد البسرى من قدماء مشايخ الصوفية، صحب أبا تراب النخشي، قال ابن الجلاء: "لقيت ستمائة شيخ فما رأيت مثل أربعة ذى النون المصرى، وأبى تراب النخشي، وأبى عبيد البُسرى" نفسه ص٢٢.

(٨) منازل السائرين ص٤–٥

القدسية" للعروسي، وليس في إمكاننا أن نقرر يقيناً هل هذه الرسالة هى تلك التى أوردها بروكلمان تحت عنوان "رسالة فى الحب" وتوجد فى أيا صوفيا برقم ٤٨٧٥أم أنها رسالة مختلفة وذلك لعدم اطلاعنا عليها، وإن كنا نشعر بأنها هى هذه الرسالة بعينها.

٤. **"شرح فصوص الحكم لابن عربي"**، القاهرة المطبعة الميمنية ١٣٢١هـ فى ٢٨٣ صفحة من القطع الكبير.

٥. **"شرح منازل السائرين"** للشيخ الهروى (ب ٢٣٦٠) ونسخة أخرى: (تصوف/ طلعت ٩٨٠).

٦. **"تأويلات القرآن"** ويوجد منه عدة نسخ مخطوطة فى مكتبات برلين والفاتيكان والمتحف البريطانى وأيا صوفيا والإسكندرية[٩] وقد طبع فى بيروت. ذكر حاجى خليفة فى كشف الظنون[١٠] أن الكاشاني تناول فيه القرآن حتى السورة رقم ٣٨ فقط، بينما تحتفظ نسخة برلين (٨٧٢) على تأويل القرآن كله.

---

(٩) نفسه ٢٣٩

(١٠) كشف الظنون ٢/ ١٧٥

٧. شرح لعبد الرحيم بن شمس الدين التبريزي الأقطابي[11] (يوجد في أسعد وشهيد على "رشح الزلال في شرح الألفاظ المتداولة بين أرباب الأذواق والأحوال"[12]

٨. "لطائف الأعلام في إشارات أهل الأفهام في اصطلاحات الصوفية" وربما كان تكملة له؛ ويوجد منه مخطوطات في ليدن والمكتب الهندي بلندن وكوبريللي، وقد أفاد منه المستشرق بوكوك، ونشر قطعا منه في كتابه عن فكرة الثالوث في الشرق، ولسنا على يقين عما إذا كان الكتاب هو الذي ورد ضمن مؤلفات الشيخ تحت عنوان "السراج الوهاج في تفسير القرآن" أم لا وهذا الكتاب الأخير لم يرد في نشرة كارل بروكلمان.

٩. "تأويلات بسم الله الرحمن الرحيم"، يوجد مع حاشية للقصيري (المتوفى سنة ٧٥١هـ/١٣٥٠م) وتوجد له نسخة منه بدار الكتب المصرية (القاهرة أول ٢/١٣٧).

١٠. "الرسالة الصمدية"، وفيها يتكلم الكاشاني عن مفهوم الخلود، وتوجد مخطوطتها بمكتبة برلين (٢٣١٢)

---

(١١) بروكلمان ٢٣٩ كارل بروكلمان ص٢٤٠-٢٤١.

(١٢) فهرست دار الكتب ٦/١٦٢، ٧/٢٠٠، See: the Introduction of Arabic Philosophy into Europe. Ed. by Charles E. Buterworth and Blale Andree Kessel E.J., Brill. Leiden. Ne Yor Kolr ١٩٩٤. p ٧٢- ٧٣.

١١. "تزكية الأرواح عن مواقع الإفلاح فى الفلسفة العملية" توجد منه نسخة فى مكتبة فاتح (٢٥٩٥).

١٢. "حلية الأبدال" وتوجد مخطوطته فى بشاور (١٧٧٣/ ١٠)

١٣. "رسالة فى بيان الحقيقة مع شرحها" وتوجد فى مكتبة برلين ٣٤٦٢.

١. "شرح مواقع النجوم"

١٤. "مسائل ميتافيزيقية" وتوجد بالمتحف البريطاني ٩٨١ .

١٥. "التذكرة الصاحبية" كتبه فى شهر المحرم من عام ٧٨٦هـ. (دار الكتب مجاميع (م) ١١/٦٦) و (القاهرة أول ٥٥٦).

١٦. "الرسالة الكمالية" وهى رد على كُميل بن زياد بالمتحف البريطانى (٩٨٠، ٩٨١) والقاهرة أول (٧: ٢٨٣)؛ وهل هذه الرسالة هى الرسالة التى تحتفظ بها مكتبات أيا صوفيا وولى الدين والجمعية الآسيوية ورامبور بعنوان "شرح رسالة كُمبل بن زياد" والتى تأخذ رقم ١٦ فى نشرة كارل بروكلمان، أو هي رسالة غيرها! لا نستطيع أن ننفى ذلك أو نثبته حيث تعذر علينا الإطلاع عليها لأسباب عملية.

١٧. "الشجرة الطيبة" وتوجد بعاطف أفندى (٢٢٤٢/ ٥٢٥ ب، ٥٤٦ ب)

١٨. "رسالة فى الفُتوَّة" (فى آداب المتصوف) توجد فى آيا صوفيا.

١٩. "قصيدة" وتوجد في كوبريللي- آيا صوفيا (٤٨٧٥/ ٦) وربما هي قصيدة "نظم الدر في كشف الوجوه الغرر" (الموجودة بدار الكتب المصرية في ٢٠٠ ورقة ..... ٨٩٩ هـ أدب طلعت ٤٦٦٢).

٢٠. وأخيراً نأتي إلي "رسالة في القضاء والقدر" محل عنايتنا هنا، وتوجد نسخة منها في مكتبة برلين تحت رقم ٢٤٨٣، وطبعت بمصر عام ١٩٠٨م، ضمن تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات، تحت اسم "ابن سينا"؛ وللأسف فإننا لم نعثر عليها في دار الكتب، على الرغم من الإشارة إليها في فهارسها العامة، والإشارة إلي هذا العمل الأخير للمصنف تأتي دائماً بلفظ "رسالة"، كما هي في كتب الفهارس، أو "الرسالة" كما اختاره مترجمها إلي اللغة الفرنسية المستشرق "ستنسلس جيارد"، كعنوان للنص العربي المطبوع في باريس مع الترجمة والذي نُشر عام ١٩٧٨م، وقد أشرنا إليها فيما سبق.

المخطوطات
والطبعات والترجمات

مخطوطة دار الكتب

ويرمز لها [خ م]

رسالة فى القضاء والقدر لجمال الدين عبد الرزاق الكاشانى

أوله بعد البسملة "الحمد لله الذى أحاط علمه بالأشياء". وينتهى هذا المخطوط بالكلمات الآتية: "وفيما ذكرناه كفاية لمن تيسر له ولا ينجع أكثر من ذلك لمن تعسر عليه وبالله العياذ من التقصير، وهو المستعان، وعليه التُكْلان، تمّت الرسالةُ بعون الله وحُسْن توفيقه، والحمد لله أولاً وآخراً، ظاهراً وباطناً، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين".

وتوجد زيادات واختلافات فى العبارة بين مخطوطة دار الكتب المصرية ومخطوطة برلين والطبعة الفرنسية من حيث نهاية المخطوط وفى مواضع أخرى كذلك كما يتبين من هوامش التحقيق.

تاريخ النسخ ووصف المخطوط:

تاريخ نسخ مخطوطة دار الكتب غير مبين، وكذلك اسم الناسخ، عدد أوراقها: ٢٤ ورقة، مقاس ١٨×١٣؛ وعدد الأسطر فى الصفحة الواحدة يتراوح ما بين الأحد عشر والاثنى عشر سطراً، وتتراوح عدد الكلمات فى السطر الواحد ما بين الست والتسع كلمات.

وقد كتب على الصفحة الأولى: "هذه الرسالة هى تأليف جمال الدين عبد الرزاق الكاشانى المتوفى ٧٣٠هـ كما علم ذلك من الجزء الأول من كشف

الظنون صحيفة ٤٢٨، للشيخ الأكبر والكبريت الأحمر الشيخ محيى الدين بن العربى الحاتمى الطائى رضى الله عنه وأرضاه، آمين.

مشترى من تركة قاسم باشا بمبلغ ٢٠,٠٠ قرش، وأضيف فى ٢٦ أبريل ٨٨١ ع إلى دار الكتب وأخذ هذا الرقم (١٦٣٨٧). الشهر مكتوب بالتاريخ الميلادى، والسنة بالتاريخ الهجري."

ويوجد على الصفحة نفسها خاتم، وهذا الخاتم موجود أيضاً على آخر صفحة من المخطوط، ومكتوب عليه خديوية الكتبخانة المصرية - توحيد ٢٣٨

المخطوط غير مرقم الصفحات، وتوجد فى آخر الصفحة الأولى أول كلمة من الصفحة التى تليها كإشارة إليها. وهو مكتوب بخط النسخ الواضح، وكلماته مشكولة.

وتختلف هذه المخطوطة عن مخطوطة برلين فى مواضع عديدة كما سيتبين من الهوامش. ولابد من التنبيه على أنه لا يوجد بمخطوطة دار الكتب الجزء الأخير الموجود فى مخطوطة برلين، وهو عبارة عن أربعة عشر سطراً. (هناك ورقة وربع الورقة ساقطة من مخطوط دار الكتب، ونظراً لأن المخطوط يهمل الترقيم، فإنه من المتعذر معرفة تاريخ فَقْد هذا الجزء، وهل سقط أثناء التصوير على ميكروفيلم عام ١٩٨٢م، أم أنه سقط من النسخة الأصلية، و ننبه علي أن الإشارة التي تتوفر لدينا لا تساعدنا على إصدار حكم قاطع بشأن تاريخ فقد هذه الأسطر. علماً بأن عدد أوراق المخطوط أربع

وعشرين ورقة في كل من المخطوطتين، كما هو مبين في تعريف دار الكتب للمخطوط).

مخطوطة برلين

ويرمز لها [خ ب]

رسالة فى القضاء والقدر

وصف المخطوط:

هذه المخطوطة محفوظة بمكتبة برلين تحت رقم ٢٤٨٣ ، وتاريخ نسخها غير مُبَيَّن، وعدد أوراقها ١١ ورقة ، مقاس ٢٩.٥X ٢١، وعدد الأسطر في الصفحة الواحدة سبع عشرة صفحة، ويوجد الترقيم على يسار الصفحة؛ وتوجد في آخر كل صفحة أول كلمة من الصفحة التي تليها كإشارة إليها. والمخطوط مكتوب بخط واضح وغير مشكول. وليس في هذا المخطوط تصويبات أو تعليقات على الهامش إلا في صفحة واحدة فقط (الصفحة الثالثة) مكتوب على الهامش "محل القدر عالم ملكوت محل القضاء عالم الجبروت"

يوجد فى أعلى صفحة العنوان نقش، يليه عنوان الرسالة، وبجانبه خاتمين، غير واضحين، ثم ~~ختم مكتبة برلين التى تحتفظ بالمخطوط~~ وخاتمين آخرين صغيرين مختلفين؛ أحدهما للمالك الأصلى للمخطوط. والثانى للشخص الذي انتقلت إليه ملكية المخطوط. ويوجد أسفل صفحة العنوان

تاريخ ١١٠٣، وجاء في أسفلها توقيع كاتب المخطوط الفقير عبد الغني محمد رضا الطيب العمر، كتابة بيمينه. كما توجد بالصفحة نفسها ثلاثة أسماء أخرى غير واضحة.

أوله بعد البسملة "رب تمم، الحمد لله الذى أحاط علمه بالأشياء" وينتهى هذا المخطوط بالكلمات الآتية:

"وفيما ذكرناه كفاية لمن تيسر له، ولا ينجع أكثر من ذلك لمن تعسر عليه، وبالله العياذ من التقصير، فإن بيده تيسير كل عسير، وهو المستعان، وعليه التكلان. إنه هو حسبنا ونعم الوكيل. تمت الرسالة فى القضاء والقدر".

وبعد هذه الخاتمة يوجد فى الصفحة نفسها أربعة عشر سطراً زائدة وهي غير موجودة بمخطوطة دار الكتب وبالطبعة الفرنسية كذلك؛ وبقراءة هذه السطور يتبين أنها من جنس ما جاء فى الرسالة من حيث الموضوع والأسلوب.

ويبدو أن الشيخ الكاشاني بعد أن أنهى رسالته في القضاء والقدر، قد تَوَجَّه بالخطاب إلي السائل الذي كتب الرسالة بناءً على طلبه، يخبره فيها بخلاصة ما جاء فى رسالته حول مفهوم القضاء والقدر وتعلقه بالقدرة الإلهية و بالعقل الإنسانى.

الطبعة الفرنسية

ويرمز لها [ط ف]

ظهرت أول ترجمة لرسالة القضاء والقدر لعبد الرزاق الكاشانى إلي اللغة الفرنسية عام ١٨٧٣م، وقد اعتمد المترجم في ترجمته على إحدى مخطوطات الرسالة والتي قام بها استانيسلس جيارد، ونشرها فى الجريدة الآسيوية ، ثم أعيد طبع الترجمة عام ١٨٧٥م.

وفى عام ١٨٧٩م قام استانيسلس جيارد بنشر النص العربى الذى سبق نشره فى المجلة الأسيوية فى عددها الصادر فى شهرى فبراير ومارس ١٨٧٣م، وتوجد منه نسخة فى دار الكتب المصرية ضمن مجموعة علم الكلام ورقمها ١٦٣٧، ١٦٦٦.

وفى عام ١٩٠٨ ظهرت له طبعة أخرى بالقاهرة أشارت إليها فهارس دار الكتب المصرية ضمن تسع رسائل فى الحكمة والطبيعيات تحمل اسم ابن سينا، إلا أننا لم نعثر عليها ضمن الكتب التي بالدار، ويبدو أنها مفقودة.

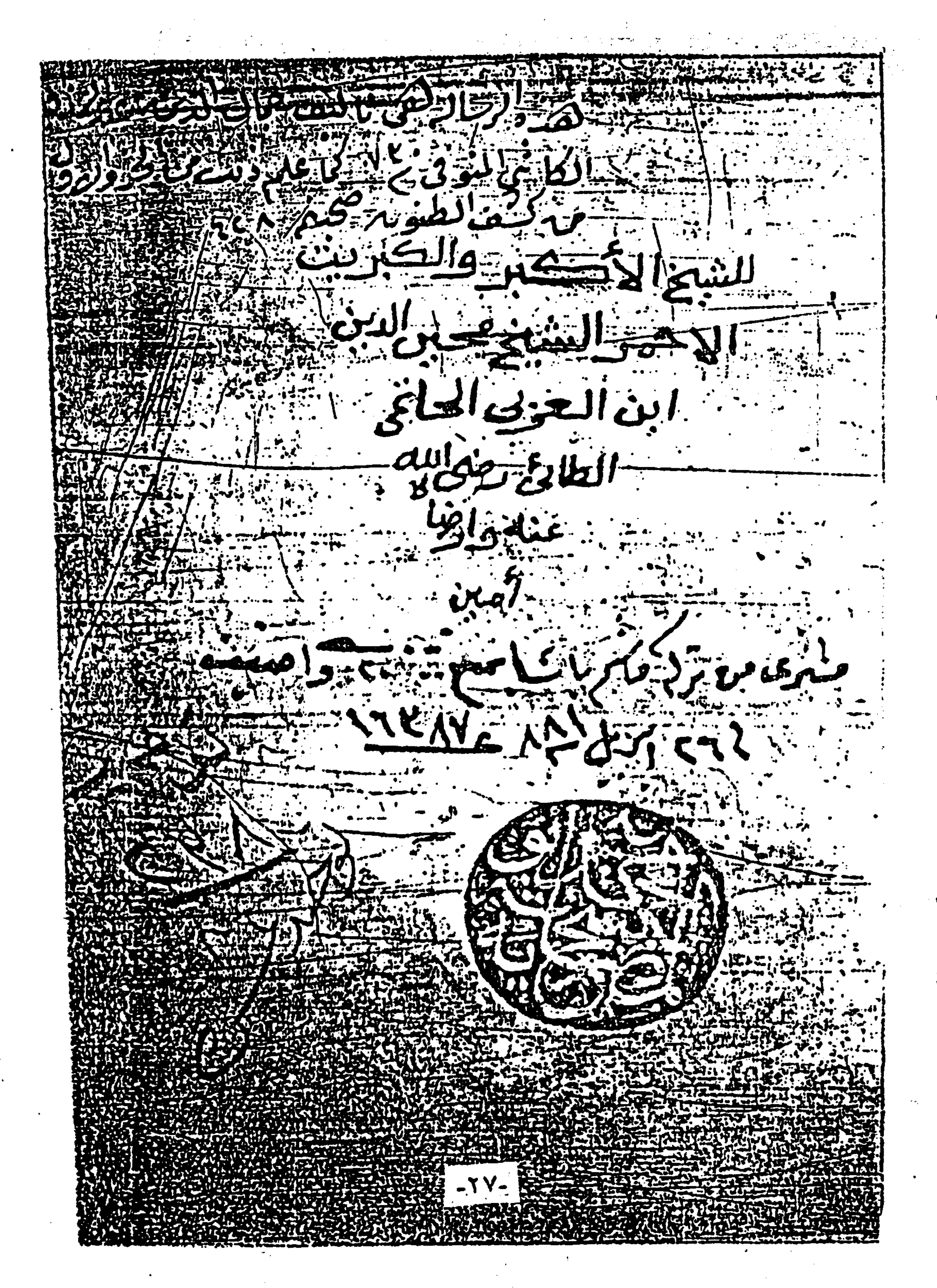
وفى عام ١٩٧٨م نشر النص العربى مع ترجمة فرنسية جديدة منقحة ومزيدة بواسطة مايكل ألارد مع مقدمة بقلم جيرارد ليكونت.

تحتوى هذه الترجمة على مقدمة وبعض التعليقات التى أشار فيها المترجم إلي مسيرة الرسالة من الأدراج إلي الأضواء. وقد ضم إليها مجموعة

من الآيات القرآنية والأحاديث التى تدور حول القضاء والقدر مترجمة إلي اللغة الفرنسية، وهى تلك الآيات والأحاديث التى اعتمد عليها الشيخ الكاشانى إما بطريقة مباشرة، وإما عن طريق التضمين والتنويه.

أما النص العربى المطبوع مع الترجمة فإنه لم يُحقَّق، ومن الواضح من خلال الإشارات اليسيرة إلي الأصل الذى اعتمدت عليه هذه الترجمة، أن المترجم اعتمد على مخطوط واحد لم يقدم عنه أى بيانات. ولتوضيح ذلك نذكر أن تعليقات المترجم على النص لم تزد على ثمان وعشرين تعليقاً فى مجموعها، يتراوح كل تعليق منها ما بين الكلمة والثلاثين كلمة؛ علي أن معظم ما جاء بالهوامش لا يزيد عن كلمة واحدة، هذه الكلمة تأتى إما لتصويب عبارة من واقع المخطوط المجهول الهوية بالنسبة لنا، وسواء إذا كان التصويب فى محله أو فى غير محله وغالبا ما يكون تعليق المترجم مقتضباً على كلام الشيخ الكاشانى، وقد ذكرنا فى تعريفنا للمخطوطات أن الطبعة الفرنسية تختلف كثيراً عن مخطوطتي دار الكتب المصرية وبرلين كما أنها تحتوى على أخطاء ليست بالقليلة.

وقد قام بترجمة هذه الرسالة إلى الإنجليزية لأول مرة مع دراسة وتعليق علي النص الدكتور محمد أبو ليلة وهي الآن تحت الطبع.



هذه أرجاز

الكاشي المتوفى ... كما علم ذلك من ...

من كشف الظنون صحيفة

للشيخ الأكبر والكبريت

الأحمر الشيخ محيي الدين

ابن العربي الحاتمي

الطائي رضي الله

عنه وأرضاه

آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي احاط علمه بالأشياء جملة وتفصيلا
عينها في القضاء السابق تعيينا ثم نزلها بقدره
المعلوم تنزيلا رتبها بمقتضى مشيئته احسن ترتيب
وخصصها على وفق عنايته بالتبعيد والتقريب
ابدع المبدعات بقدرته فابدى آنالها وانشاء
الكائنات بحكمته نسق آجالها نظمها في سلك
الزمان تقديما وتأخيرا وخلق كل شيء فقدره
تقديرا والصلوة على من دبر بهدايته نظام
العالم وكمل بهدايته اخا بني آدم وعلى آله
الاكامل ذوي المعارف والحكم والمكارم ذوي المكارم
والكرم وبعد فقد سألني من عزت علي مسألته

لوحة رقم ١ من مخطوطة دار الكتب المصرية

ولزمتني من طرق الأخوة اجابته ان املي ما
حدث في القضاء والقدر فاسعفته بتأليف هذا
المختصر مرتبا لمباحثه في فصول ومنقحا لاصوله عن
فضول متمسكا بعصمة الله عند الزلل معتصما بتأييده
في مواضع الخلل وبالله التوفيق

الفصل الاول في معنى القضاء والقدر
والفرق بينهما وبين العناية الاولى القضاء
عبارة عن ثبوت صور الاشياء في العالم
العقلي على الوجه الكلي والقدر عبارة عن
حصول صور الموجودات في العالم النفسي على الوجه
الجزئي مطابقا لما في المواد الخارجية مستندة
الى اسبابها واجبة بها لازمة [illegible]

لوحة رقم ٢ من مخطوطة دار الكتب المصرية

الواصل إلى ما أمكن له وقُدّر من السعادة فهو
الناجي وإن كانت سعادته دون وادون بما لا
يدرك كنهه من سعادة آخر إذ لا إدراك له لما لا
يمكنه فلا ذوق وإذ لا ذوق فلا شوق وإذ لا شوق
فلا تعذب بفواته وكل ذلك بتقدير وجب وقوعه
باعتبار وأمكن باعتبار فلا ينافي كونه باختيار
وفيما ذكرناه كفاية لمن تيسر له ولا ينجع الكثير
من ذلك لمن تعسر عليه وبالله العياذ من التقصير
وهو المستعان وعليه التكلان   تمت الرسالة

بعون الله وحسن توفيقه والحمد لله
أولاً وآخراً ظاهراً وباطناً وصلى الله
على محمد وآله وصحبه أجمعين

لوحة رقم ٣ من مخطوطة دار الكتب المصرية

مخطوطة برلين

لوحة رقم ١ من مخطوطة برلين

لوحة رقم ٢ من مخطوطة برلين

ما عملوا فمن حجب عن بلوغ الذي تقتضيه بحسب استعداده بتقصير فيه او ارتكاب عمل ينافيه فقد

عذب تعذيبا يناسبه بحسب حرمانه عنه لمساويه وكذا من نوقش في الحساب بحسب الاعمال واما

الواصل الى ما امكن له وقدر من السعادة فهو الناجي وان كانت سعادته دون وادون بما لا

يدرك كنه من سعادة آخر اذ لا ادراك لما لا يمكنه فلا ذوق واذ لا ذوق فلا شوق واذ لا شوق

فلا تعذب وكل ذلك بقدر وجب وقوعه باعتباره ولكن باعتبار فلا ينافي كونه باختياره وفيما

ذكرناه كفاية لمن تيسر له ولا ينجع اكثر من ذلك لمن تعسر عليه وبالله العياذ من التقصير فان

بيده تيسير كل عسير وهو المستعان وعليه التكلان انه هو حسبنا ونعم الوكيل تمت الرسالة

في القضاء والقدر

لوحة رقم ٣ من مخطوطة برلين

Tradition islamique - 3

'Abd ar - Razzâq
AL - QÂSHÂNÎ

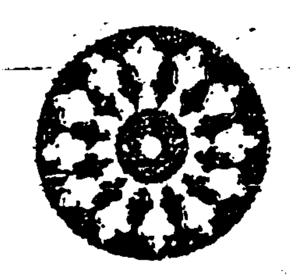
Traité sur la Prédestination et le libre arbitre

الرسالة فى القضاء والقدر

Traduction par Stanislas Guyard

précédé de quarante hadiths

Introduction par Gérard Leconte



Michel Allard
Éditions Orientales
59, boulevard Exelmans
Paris

التقسيم الداخلي للرسالة

المقدمة:

قَسَّم الكاتب رسالته إلي مقدمة وعشرة فصول وخاتمة، ويلاحظ أن المساحات المخصصة للفصول متساوية أو متقاربة إلا فى بعض الفصول، فإنها أطول من غيرها وذلك إما لكثرة الشواهد التى ذكرها المصنف وإما لاقتضاء الموضوع نفسه. ورسالة بهذا الحجم تعطى هذه العناوين والتقسيمات المحكمة لتدل بحق على قدرة كاتبها وبراعته ورسوخه كما أنها في الوقت نفسه تُشكل إحدى سمات الكاتب العقلية والعلمية، والتى تساعدنا على تحديد أهم معالم شخصيته.

مقدمة الكتاب وهى من قسمين، القسم الأول: ويفتتحه الكاتب بالحمد والثناء على الله كما هو التقليد الإسلامي فى التأليف، ولأن الرسالة فى القضاء والقدر فقد جاء الثناء على الله المفتتح به الرسالة، مرتبطاً بالموضوع ودائراً فى فلكه، وتستغرق المقدمةُ صفحةً واحدةً.

أما القسم الثانى من الخطبة وهو لا يتجاوز الأربعة أسطر، فإنه يبين لنا أن الشيخ الكاشانى قد كتب رسالته والتى يسميها "مختصراً" إجابة لأحد إخوانه المقربين، وربما كان هذا الأخ تلميذاً له أو واحداً من مريده فى طريق التصوف.

وإذا كان من الصعب علينا أن نتعرف على حياة الشيخ الكاشاني كاتب الرسالة نفسه فإنه ليس من الممكن أن نتعرف علي هذا الشخص الذي سأل الشيخ أن يكتب له مختصراً في القضاء والقدر.

الفصل الأول:

يقع هذا الفصل في الصفحة وبعض الصفحة، ويدور حول معنى القضاء والقدر ومفهومهما والفرق بينهما وبين العناية الأولى، وفيه يعرف الكاتب "القضاء والقدر" ومفهومهما: "القضاء عبارة عن ثبوت جميع صور الأشياء في العالم العقلي على الوجه الكلي؛ والقدر عبارة عن ثبوت صور الموجودات في العالم النفسي على الوجه الجزئي مطابقة كما في المواد الخارجية مستندة إلي أسبابها واجبة بها لازمة لأوقاتها".

يتكلم الكاشاني هنا عن الأشياء في طور كونها في علم الله تعالى، وقبل أن تخرج إلي الكون الفعلي أو الواقع، فهي كالأفكار في ذهن الإنسان، لها وجود ذهني مُتَصَوَّرٌ قبل أن تخرج إلي العالم الخارجي بفعل أسبابها وفي أوقاتها، فتصير من الكلي إلي الجزئي، ومن المجرد إلي المادي. والقضاء والقدر هو إحاطة علم الله تعالي بكل شيء كان أو سيكون. ، ولكي يصير ما هو في علم الله تَعَيّنا أو عيناً وجواهر، اقتضى الأمر أولاً أن يكون هناك جوهراً روحانياً يكون بمثابة الوسيط أو الوسط الذي يتم من خلاله التعَيُّن، أي صيرورة صور الأشياء التي هي في العالم العقلي إلى التعينات - أي

الوجود- في العالم الواقعي، وهذا الجوهر الروحاني الوسيط يسمى "**الروح الأول**" والعقل الأول، والقلم الأول.

ويبني الكاتب كلامه في هذا الفصل على بعض الاحاديث النبوية التي ضمنها كلامه وعلى أقوال الفلاسفة وبالأخص الأفلاطونية الحديثة [١٣]، وعلى أقوال الصوفية لا سيما محيي الدين بن عربي (٦٤٠هـ/١٢٤٢م).

والكلام عن صدور الموجودات عن الله تعالى، وارتباط ذلك بمسألة القضاء والقدر من الغيبيات. والغيبيات يُطلب لها الإيمان الكلى، ويكون عمل القلب فيها مجرد محاولة للفهم، وطريقاً إلي الاطمئنان العقلى، ووسيلةً أيضا لشرح المسألة لمن لا يعتمد فى فهمه وعلمه على الإيمان وعلى الوحى.

الفصل الثاني:

ويقع فى صفحة وبعض الصفحة، وفيه يدلل الكاتب على سبق الصور الروحانية فى الوجود عن المواد والتعينات، ومن طبيعة هذه الصور أنها كاملة، مجردة عن المواد، وغير قابلة للفساد الذى يعترى الماديات، وأنها كذلك مدركة لذاتها، ولما عداها بذواتها وغير متعلقة بالأجسام، وهى المشار

---

(١٣) الأفلاطونية الحديثة (New Platonism) وهو مذهب أفلاطين وأتباعه، وأساسه القول الذي صدر عنه الكثرة. وهو عبارة عن مزيج من الفلسفة والدين. وقد أخذت بهذا المذهب مدرسة الإسكندرية من القرن الثالث إلى السادس الميلادي. (المعجم الفلسفي ص ١٨)

إليها بقوله تعالى "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي" (الإسراء:٨٥)؛ وقول النبى الكريم ﷺ:"إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق، إن رحمتى سبقت غضبى"، فهو مكتوب عنده فوق العرش، والملائكة مخلوقة من نور، وهى تُؤثِّر فيما تحتها من الأجرام والمواد، وهى تُؤثِّر بقدرة الله وبقاهرية الله تعالى. وكل شيء منتقش فيها باعتبارها محل تحقيق، فيها فائض عنها من عالم الجبروت، ولذلك تسمى الملائكة "عقولاً" أو "عقولاً فيَّاضة".

الفصل الثالث:

يتكلم الكاتب فى هذا الفصل عن العالم الروحانى بجوهره المجرد، وعن العالم النفسانى. والعالم الروحانى هو محل القضاء؛ والقضاء في اللغة هو الحكم، وفى الاصطلاح هو الحكم الكلى الإلهي فى أعيان الموجودات على ما هى عليه من الأحوال الجارية فى الأزل إلي الأبد. أما العالَم النفسانى بجوهرة السماوى فهو محل القدر؛ والقدر هو "تعلق الإرادة الذاتية بالأشياء فى أوقاتها الخاصة"، والقدر يعنى كذلك خروج الممكنات من العدم إلي الوجود واحداً بعد واحد مطابقاً للقضاء أى الأمر الإلهي بالإيجاد والتكوين، والقضاء يتم فى الأزل، وفيما وراء الزمان والمكان، وأما القدر فيقع فيما لا يزال، أى فى نطاق الزمان والمكان.

والفرق بين القضاء والقدر، أن القضاء يكون بوجود جميع الموجودات فى اللوح المحفوظ، أو أم الكتاب مجتمعة، والقدَر يكون

بوجودها متفرقة فى الأعيان وفى الأزمان والأماكن المختلفة بعد حصول شرائطها وأسبابها.

الفصل الرابع:

ويعرض فيه لبعض التفصيل مما سبق أن ذكره إجمالاً في الفصول السابقة. ويدور الفصل على فكرة أن الأجرام السماوية ذوات نفوس ناطقة لها إدراكات وإرادات كلية بذواتها وإدراكات واردات جزئية بآلاتها ولها شوق كنفوس بني آدم إلى الجوهر الروحاني الذي هو مفيضها؛ و كلام الشيخ هنا لا يختلف عن الأفلاطونية الحديثة المتمثلة في نظرية الفيض و التي شاعت في الفكر الإسلامي بشكل عام. و الجديد أن الشيخ يربط بين الكائنات وتأثيراتها وبين ما يحدث للإنسان من قضاء وقدر.

الفصل الخامس:

وهو امتداد للفصل الرابع، ويتكلم فيه المؤلف عن كيفية تمثيل صورة الإنسان بصورة العالم، بمعني أن أفعال الإنسان كأفعال الكائنات التي تحيط به وتؤثر فيه. فكما أن أفعال الإنسان أربع مراتب من حيث صدورها عنه وبروزها من مكامن غيبها إلى مظاهر شهادتها ووجودها بالفعل في عالم الواقع، فكذلك بالنسبة للكائنات الأخرى.

ويربط الشيخ الكاشاني بين الإرادة الكلية الصادرة من أعلى، وبين الإرادة الجزئية الصادرة من الإنسان ذي الإرادة، أو من الكائن ذي الانفعال.

الفصل السادس والسابع:

أما الفصل السادس والسابع فقد ركز الكاتب فيهما الكاتب على بيان الأفعال الاختيارية وجهة صدورها وكيفية صدورها، والمؤلف يحل هنا الإشكال المزيف على العلاقة بين الأفعال الاختيارية والأفعال الاضطرارية، والتناقض الظاهر بينهما. وفي سبيل إزاحة التعارض بين ما هو إجباري وما هو اختياري يقول الشيخ الكاشاني:

"القَضاءُ والْقَدَر يُوجِبَان ما يُوجِبَان بتوسُّط أسبابٍ وعِلَلٍ مترتبةٍ منتظمةٍ، بعضُها مُدَبِّرَات ومُعِدّات، كالنفوس السماوية والحركاتِ والأوضاعِ الفَلَكِيَّة، والصُّوَر واللَّوَاحِقِ الْمَادِّية. والأمورِ الجاريةِ مَجْرى الأشياءِ الاتِّفَاقِيَّة، وغيرها مِن الإدراكاتِ والإراداتِ الإنسانيةِ بالحركاتِ والسكنات لحيوانية؛ وبعضُها فاعلاتٌ مفيضات كالمبادي العالية من الجواهر العقلية، وبعضُها قَوابلُ".

ويضيف الشيخِ عاملاً مهما يساعد على إزاحة اللبس أو الوهم بين الجبر والاختيار وترتيب الثواب أو العقاب على الفعل وقيام الإنسان

بالترجيح بين الأفعال المطروحة عليه بالتساوي مما يجعل محل أحد الاحتمالات أو الممكنات بحيث يتحقق الفعل.

وفي الفصل السابع يتكلم عن طبيعة الإدراك والعلم والقدرة التي هي من الكيفيات النفسانية، ومقارنتها البديهية، وفي الفرق بينها من حيث الاسم وموقع كل منها، من قوى الإنسان واختياراته وأفعاله، وما يترتب على ذلك من أفعال أو مسئوليات.

وفي هذا الفصل الأخير يعرض الكاتب لآراء العلماء في تفسير معنى القضاء والقدر وارتباطهما بالقدرة الإلهية، وسائر أفعال الله تعالى.

الفصل الثامن:

ويتحدث فيه عن فائدة التكليف بالطاعات والدعوة بالآيات. أي تصديق صاحب الدعوة بالمعجزات، وتأثير السعي والجهد وتوجيه الوعد والوعيد وبيان الابتلاء من الله تعالى، وعلى أي جهة يكون، وما هو موقعه من عقيدة القضاء والقدر، وترتيب أفعال الله عز وجل، وكيف أن الشوق وهو نظرية قديمة يجعل الإنسان ينجذب إلى الفعل، فيحققه في العالم، أويصرفه عنه فلا يقع فيه. ومما يدخل في القضاء والقدر "السَّعْيِ والْجَدّ. والتَّهْديد والتَّرْغِيب. فنقولُ كَما تَفَطَّنْتَ أنَّ الأشْيَاءَ الدَّاخِلَةَ في وُجُودِ الإنسان كالعلم. والقُدْرةِ، والإرَادةِ، مِن جُمْلَة أسْباب الفِعلِ؛ فَاحْدِس أنَّ هذه الأمورَ الْخَارِجَةِ أيضاً مِنْ جُمْلَتِها؛ فالدَّعْوةُ والتَّكْليفُ، والإرْشادُ والتَّهْذيبُ. والوَعدُ والتَّرْغِيبُ. والإبْعَادُ

والتَّهديدُ، أُمُورٌ جَعَلَها الله مُهَيِّجَاتِ الأشْوَاقِ، ودَوَاعِيَ إلى خيْرَاتٍ وطَاعَاتٍ، واكْتِسابِ كَمَالاتٍ، ومُحَرِّضَاتٍ على أعْمالٍ حَسَنَةٍ، وعَادَاتٍ مَحْمُودةٍ، وأخْلاقٍ جَمِيلةٍ ومَلَكَاتٍ فَاضِلَةٍ مَرْضِيَّةٍ، مُقَدَّرَةٍ لَنَا، نَافِعَةٍ في مَعَاشِنَا ومَعَادِنا، يَحْسُن بِهَا حَالُنا في دُنْيَانا ويَحْصُلُ بِهَا سعادةُ عُقْبَانَا؛ أو مُحَذِّرَاتٍ عنْ أضْدَادِها من الشُّرُورِ والقَبَائِحِ والذُّنُوب والرَّذَائِل مِمَّا يَضُرُّنَا فِي العَاجِلِ، ونَشْقَى بِهَا في الآجِلِ؛ وكذَا السَّعْيُ والْجَدُّ والتَّدْبِيرُ والْحَذَرُ إذْ قُدِّرَتْ مُهَيِّئَةً بِمَطَالِبِنَا، مُوَصِّلَةً إيَّانا إلى مقَاصِدِنا، مُخْرِجَةً لكَمَالاتِنَا إلى الفِعْلِ، وجُعِلَتْ أسْبَاباً لِمَا يَصِلُ إلَيْنَا مِنْ أرْزَاقِنا، ومَا قُدِّرَ لَنَا مِن مَعَائِشِنَا، أو هُيِّئَ لَنا في آخِرَتِنا، أو لِمَا يَصْرِفُه اللّهُ تعالَى عَنَّا مِن الْمَكَارِهِ، ويَدْفَعُهُ عنَّا مِن الْمَضَارِ والْمَفَاسِدِ".

الفصل التاسع والعاشر:

ويتكلم فيه عن الاستعدادات التي يكون بها الفعل وتنوعها بتنوع الأفعال و المقاصد و النوايا، و هنا يتصدي الشيخ لحل معضلة تواجه الإنسان في فهم القدر وربطه بأفعاله وما يصدر عنه، وهي أنه إذا كانت الفضائل والرذائل و المحاسن و القبائح مقدرة مكتوبة علينا فهل "صدورها عنا يكون في داخلنا و تكون هى مربوطة بأوقاتها التي تصدر فيها عنا و إذا كان الأمر كذلك فما بالنا لا نتساوى و لا نتعادل".

وهنا يفسر الشيخ أيضاً مشكلة الخير و الشر، وتأثيرهما على الناس وينتهي إلى ما يتسق وينتهي في الحل مع القرآن الكريم، وهى أن كل شئ يقع في الوجود له حكمة وتترتب علي وقوعه بلا شك غاية، وأن الأشياء

تتمايز بأضدادها وأنه لولا الشر لما فهمنا معنى الخير، ولما أقبلنا عليه، وأن الله إذا كان قد قدَّر الذنوب فقد قدَّر لها التوبة، وهكذا.

وأما الفصل العاشر فإن الكاشاني يتكلم فيه عن السعادة والشقاوة ترتيباً على الاستعدادات ومحل الأرواح في الدرجات، و ذلك في إطار كلامه في القضاء والقدر، وهو يرى أن السعادة تكون في طاعة الله وفي عموم الخيرات و في تحصيل العلم و العمل به.

منهج التحقيق

-بعت اسهج التالي في تحقيق الرسالة في القضاء و القدر للشيخ جمال الدين عبد الرزاق الكاشاني مع الاعتماد علي المخطوطات التالية :

- المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية ورمزت لها (خ م)
- المخطوطة المحفوظة بمكتبة برلين ورمزت لها (خ ب)
- الطبعة الفرنسيه ورمزت لها (ط ف)

الاشارة في الهامش إلي الإختلافات الواردة بين النسخ وقد جعلت مخطوطة دار الكتب المصرية هي الأصل الذي راجعت عليه وذلك لأنها أقدم من مخطوطة برلين، ومن المخطوط الذي أخذت منه الطبعة الفرنسبة، هذا علي الرغم من أنني لم استطع التعرف علي هذا المخطوط إلا من خلال النص المطبوع و الذي وجدت أن بينه و بين المخطوطتين الأخريين بعض الإختلافات كما هو مبين بالهوامش.

الإلتزام في كتابة النص المحقق بتصويب الكلمة التي بها خطأ أو تحريف و ذلك من واقع المخطوطات موضع التحقيق مع اختيار الكلمة الت تتناسب مع روح النص و قرينة الكلام.

إثبات مواضع الآيات القرآنية المذكورة بالنص سواء كانت تصريحا أو تضمينا؛ مع إثبات الآية كاملة إذا كان النص يتطلب ذلك تخريج الأحاديث الشريفة الواردة في المتن تصريحا أو تضمينا

الرسالة

في القضاء والقدر

بسم الله الرحمن الرحيم[١٤]

الحمدُ للهِ الذي أحاطَ عِلْمُه بالأشياءِ جملةً وتفصيلاً، عيَّنها[١٥] في القَضاء[١٦] السَّابق تَعْييناً، ثم نزَّلها بقدَرِه المعلومِ تَنْزيلاً، رتَّبها بمُقْتضى مَشيئته أحْسَنَ ترتيب، وخصَّصها على وِفْق عِنايته بالتَّبعيد والتقريب، أبْدَعَ المُبْدَعَات[١٧] بِقُدْرته فأبدى آزالها[١٨]، وأنشأ الكائنات بحكْمَته فَسمَّى آجالَها، ونَظَمَها[١٩] في سِلك الزَّمان تقديماً وتأخيراً، وخَلقَ كلَّ شَيءٍ فَقَدَّره تَقْديراً؛ والصلاةُ على من دَبَّر بدِرايَته نظامَ العالَم، وكَمَّل بِهدايته أخائر بَني آدم، وعلى آله الكَامِلِ[٢٠] ذَوي المَعَارِفِ والحِكَم، وأكَارم ذوي المَكارم والكَرَم؛

---

(١٤) "بسم الله الرحمن الرحيم" زيادة من خ ب ، خ م، وزادت خ ب : "رب تمم"

(١٥) التعين: من العين، ومعنى تعين أي صارعيناً وصار حقيقة أو ذاتا أو ماهية، وأول من استعمل كلمة "عين ثابتة" ابن عربي، وقد استقاها من مصادر فلسفية وكلامية قديمة، ومعنى "ثابت العين" أو "عين ثابتة" الوجود العقلي أو الذهني للشيء لوجود ماهية الإنسان في الذهن في مقابل الوجود المحقق في الوقع بالفعل، الكائن في الزمان والمكان كوجود أفراد الإنسان في العالم الخارجي، فالأشياء في عالم العقل إذن معدومة وفى عالم الكينونة. (انظر سعاد الحكيم المعجم الصوفى ص٨٣١). ويقول صاحب التعريفات: "والعين الثابتة هي حقيقة فى الحضرة العلمية ليست بموجودة فى علم الله تعالى" (الجرجانى ص ١٨١)

(١٦) خ ب: في قضايه

(١٧) ط ف : "المبتدعات" بدلا من "المبدعات" في : خ ب و خ م

(١٨) الآزال: جمع أزل، وهو القِدم، تقول "هذا شيء أزلي" أي قديم. (لسان العرب ١١/٤)، و"الأزل"هو استمرار الوجود في أزمنة مقدرة، غير متناهية في جانب الماضي، كما أن الأبد: استمرار الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية في جانب المستقبل، والأزلي ما لم يكن مسبوقا بالعدم. والموجود على أقسام: أزلي وأبدي وهو الله سبحانه وتعالى. أو لا أزلي ولا أبدي وهو الدنيا، أو أبدي غير ازلي وهو الآخرة، وعكسه محال، فإن ما يثبت قِدمه امتنع عدمه، والأزلي الذي لم يكن ليس، والذي لم يكن ليس لا علة له في الوجود. (التعريفات للجرجاني ص ٢٧)

(١٩) خ ب، خ م: سقوط الواو

(٢٠) ط ف: الكامل بدلا من " أكامل" في : خ ب ، خ م

فقد سألني من عزَّتْ عَلَيَّ مَسألتُه[٢١]، ولَزِمَتْني مِنْ طَرِيقِ الأُخُوَّةِ إجَابَتُه، أَنْ أُمْلِيَ مَا حَضَرَنِي فِي القَضَاء والقَدَرِ، فأسْعَفْتُه بتأليف هذا المُخْتَصَر، مُرَتِّباً لِمَبَاحِثِه فِي فُصُولٍ، مُنَقِّحاً[٢٢] لأُصُولِه فِي فُصُول[٢٣]، مُتَمَسِّكاً بعصمة الله تعالى[٢٤] عند الذَّلل، مُعْتَصِماً بتَأْيِيده في مواقع[٢٥] الخلل. وبعد؛

---

(٢١) ط ف : "مسئلته"، بدلا من "مسالته" في خ ب ، خ م

(٢٢) خ ب، خ م: ومنقحاً

(٢٣) خ ب، من فضول، خ م: عن فضول

(٢٤) خ ب، خ م: "تعالى" ساقطة

(٢٥) خ ب: مواضع الخلل "وبالله التوفيق"، ما بين الأقواس ساقط من ط ف، خ ب

الفصل الأول

في معنى القضاء والقدر[٢٦]، والفرق بينهما وبين العناية الأولى[٢٧]

القَضاءُ هنا[٢٨] عبارةٌ عن ثُبوت صُوَرِ جميعِ الأشياء في العالم العقلي على الوجه الكلي؛ والقَدَرُ عِبارةٌ عن حصول [جَميع] صُوَرِ[٢٩] المَوجودات في العالَم النَّفسي على الوجه الجزئي مُطَابَقَةً لِما في المواد الخَارجية، مُسْتَنِدَةً إلى أسبابها، واجبةً بِها، لازمةً لأوقاتِها، ويَشملهُما العِنايةُ الإلَهِيَّةُ المُسمَّاة بالعنايةِ الأُولى، شُمولَ القضاءِ [للقدر][٣٠] والقَدرِ لِما في الواقع؛ فهي عبارةٌ عن إحاطةِ عِلمِ الله تعالى) بالكُلِّ علَى ما هُو عَليه، إحاطةً كُلِّيَةً [تامةً][٣١]، ولا محلَّ لَها؛ إذ ليس علمُ الله (تعالى)[٣٢] المُبايِن[٣٣] لذاته إلاّ حضورَ ذاتِه لذاتِه بوَحْدتِه الذاتية، ولِمَا

---

(٢٦) القدر: تعلق الإرادة الذاتية بالأشياء في أوقاتها الخاصة. فتعليق كل حال من أحوال الأعيان بزمان معين وسبب معين عبارة عن القدر؛ والقدر خروج الممكنات من العدم إلى الوجود واحداً بعد واحد. مطابقاً للقضاء؛ والقضاء في الأزل. والقدر فيما لا يزال؛ والفرق بين القدر والقضاء وهو أن القضاء وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة، والقدر وجودها متفرقة في الأعيان بعد حصول شرائطها (التعريفات للجرجاني ص١٩٦)

(٢٧) العناية الأولى هي العناية الإلهية، والتدبير الأزلي.

(٢٨) خ ب: ها هنا، خ م: ههنا

(٢٩) [جميع] زيادة من خ ب، خ م

(٣٠) [للقدر] زيادة من خ ب، خ م

(٣١) خ ب، خ م: كلية [تامة] و فى ن: ثابتة

(٣٢) خ ب: "تعالى" ساقطة، لتوضيح هذه العبارة "إذ ليس علم الله المباين لذاته..." نذكر أن علماء الكلام قد اختلفوا في تحديد هل الصفة هي الموصوف نفسه أو غيره. فمذهب الإمام الأشعري غيره أن من الصفات ما هي عين الموصوف كالوجود، ومنها ما هي غيره، وهي كل صفة أمكن مفارقتها للموصوف، كصفات الأفعال، كالخالق والرازق ونحو ذلك. ومنها ما لا يقال إنها عين الموصوف بوجه ما، كالعلم، والقدرة، والإرادة وغير ذلك من الصفات النفسانية لله تعالى. وذلك بناء على أن معنى المتغايرين هو أن كل موجودين صح مفارقة أحدهما للآخر بوجه ما، و قالوا: إن الصفة التي لا تفارق ليست هي عين الموصوف، ولا غيره، فكذلك الصفات النفسية بعضها مع بعض لأنه لا يصح انفكاك بعضها

كان(٣٤) بحضرته من التَّعيُّنات اللازمة لذاته؛ وتلك الحقيقة اقْتَضَتْ من ما اقْتَضَتْ مِن تَعَيُّناتِها جَوْهراً روحانياً، فَسُمِّي(٣٥) بالرّوح الأول(٣٦)، والعقلِ الأول(٣٧) والقَلمِ الأعْلى(٣٨)، على ما وردت به الأحاديثُ النبوية، ونطقت به

عن بعض، فلا يقال: إن بعضها عين الصفة الأخرى ولا غيرها. أما أنها ليست هي هي، فلأن المفهوم منها غير متحد قطعاً، وأما أنها ليست غيرها، فلعدم الانفكاك بينهما. (انظر سيف الدين الآمدي- أبكار الأفكار في أصول الدين. تحقيق أ.د. أحمد محمد المهدي -القاهرة- دار الكتب والوثائق القومية- ١٤٢٣ هـ -٢٠٠٢ م- ط ١ ص ٤٧٥)

(٣٣) خ ب، خ م: "المستأثر" بدلا من "المباين" في : ط ف

(٣٤) خ ب، خ م: "كان" ساقطة

(٣٥) خ ب، خ م: يسمى

(٣٦) الروح الأول: يسميه ابن عربي بروح الأرواح، أو روح العالم، وهو الإنسان الكامل، والإنسان الكامل هو الحقيقة المحمدية خاصة؛ لأن روح محمد ﷺ جامعة، وعدة الروح جميع الكُمّل من أنبياء وأولياء. المعجم الصوفي ٣٠٦ وما بعدها.

(٣٧) العقل: لم يرد في القرآن بنصه، وإنما بمعناه، معبراً عنه بعدة صيغ متقاربة، مثل القلب، واللب، والنهى، والحجر. والعقل: مشتق من عقل، بمعنى حبس، أو أمسك أو ربط على. والعقل نقيض الجهل، والعقل هو الزاجر للإنسان عن المعاصي والمهالك، وهو آلة للفهم والوعي والفقه. والعقل: الدية، قيل سمي كذلك لأنه يعقل الدم أي يمنعه، ويرد الجاني وعاقلته إلى العقل والتدبر فيما وقع. واللب: هو قلب العقل ومركزه. والحجر: هو العقل الوازع الذي يحجر عن الشر، وقد يكون معنى الحجر أي الجامع المانع، كما يجمع الإنسان الأشياء في حجره يحفظها. وهو من الحجر أي المنع. والنهى: سمي به العقل لأنه ينهاه عن الشر، وبالتالي يأمره بعمل الخير والنفع. وقد يكون العقل من العقال الذي يقيد الدابة، من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "اعقلها وتوكل"، فإن العقل كما يقول ابن عربي: يأبى إلا الفضائل، فإنه يقيد صاحبه عن التصرف فيما لا ينبغي، ولهذا سمي عقلاً. (الفتوحات ٣/٣٣٣). والعقل الأول، والقلم الأعلى والروح الأول أو الروح الكلي والحقيقة المحمدية والإمام المبين تمثل أول مخلوق ظهر في الوجود. (انظر ابن عربي- كتاب المسائل ص ٩، ١٠؛ وإنشاء الدوائر ص٥٥؛ والفتوحات المكية ٢/٦٤٢؛ وفصوص الحكم ٢/ ١٠، ٢٥، ١٧٩؛ والمعجم الصوفي ٨١٤- ٨١٥).

(٣٨) القلم الأعلى: عند محي الدين بن عربي شيخ الكاشاني، هو أول موجود عقل عن الحق، ومنه انبعث العالم بأسره، ويسميه ابن عربي جملة أسماء لا تؤثر في وحدة عينه، فهو العقل الأول، الحق المخلوق به، القلم الأعلى، الروح الكلي، العدل، مستوى الأسماء الإلهية، سلطان عالم التدوين والتسطير. وغير ذلك من الأسماء، التي لا تؤثر في وحدة الحق. وكل اسم يسمى به الأول له معنى خاصاً يخالف معاني الأسماء الأخرى، فالعين واحدة والحكم مختلف، ولذا تنوعت الأرواح والصور... وكذا الحق... (المعجم الصوفي ٩٣٣، وشهاب الدين يحيى سهروردي- مجموعة مصنفات شيخ إشراق- تحقيق هنري كربيم- القاهرة الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٠م ص ٩١). يقول ابن عربي في الفتوحات

الحكمةُ الإلهية: ويتوسطه جوهراً[39] آخر روحانية، وأخرى نفسانية، مع أجرامها السماوية[40]، وعَناصرُ جسمانية مع قُوَاها الطبيعيةِ عَلى ما أُشير إليه في الكُتُب الْحِكَمِيّة[41]؛ وذلك الجوهرُ هو[42] رُوح العالَم يَنْتَقِشُ [فيه][43] صورُ الأشياء عَلى مَا هِيَ[44] عَليه نِظَامُها وهيآتُها وكمالاتُها، على وَجْه كُلّي، والبارئ يَعْلَمُه بِعَيْنِه، مع تلك الصورِ الثابتةِ فيه بأعيانها، لا بصورةٍ[45] زائدةِ عَليها، بل بِمُجَرَّد حضوره لَها؛ وذلك الحضورُ هو العنايةُ الإِلَهِية[46]؛ فتَبَيَّن أنَّه لا مَحَلَّ لها، وأما القضاءُ والقَدَرُ فلِكُلٍّ منهما مَحَلٌّ؛ والله ولي التحقيق والتوفيق[47].

المكية. "وأول متعلم قبل العلم بالتعلم لا بالذات العقل الأول. فعقل عن الله ما علمه. وأمره أن يكتب ما علمه في اللوح المحفوظ، الذي خلقه منه فسماه قلماً..." (١/ ٣٩٩)، ويقول أيضاً في العلاقة بين القلم وبين القضاء والقدر. "ثم غمس (أي الحق) قلم القدرة في مداد العلم، وخط بيمين القدرة في اللوح المحفوظ المصون كل ما كان، وما هو كائن وسيكون وما لا يكون.." (١/ ٣). والقلم عند ابن عربي هو أيضا" محل التفصيل.. والنون محل الإجمال.. واللوح محل التدوين (اصطلاحات الصوفية ٢٩٤- ٢٩٥، والمعجم الصوفي ٩٢٤)؛ ومما تجدر الإشارة إليه أن لبن عربي فرق بين معنى القلم بالمفرد. معناه بالجمع، إذ جعل "القلم الأعلى" في موازاة اللوح المحفوظ، وجعل الأقلام في موازاة ألواح المحو والإثبات فما يكتبه القلم الأعلى لا يقبل المحو أو التغيير، وما تكتبه الأقلام يتردد بين المحو والإثبات.." (كتاب المسائل، والنقل عن المعجم الصوفي ٩٢٦). ويعرف عبد الكريم الجيلي "القلم الأعلى" بأنه: "عبارة عن أول تعينات الحق في المظاهر الخلقية على التمييز" (القاهرة - صبيح- ١٩٤٩م- ٢/ ٥)

(٣٩) خ ب، خ م: جواهر أخر

(٤٠) السمائية

(٤١) الكتب الحكمية: هي كتب الفلسفة، والحكماء هم الفلاسفة، سُموا حكماء لتمسكهم بالسيرة الفلسفية. وبرافقة فلسفهم فولهم التعريفات ١٠٢، ١٠٣.

(٤٢) خ ب: "هي" ساقطة

(٤٣) خ ب، خ م: ينتقش فيه جميع

(٤٤) خ ب: "هي" ساقطة

(٤٥) خ ب، خ م: لا بصور

(٤٦) خ م: "الإلهية" ساقطة

(٤٧) خ م: "والتوفيق" ساقطة

الفصل الثاني

في بيان[48] محل القضاء

لَمَّا ثبت وجودُ صورٍ روحانية، هي[49] مجردةٌ عن المَوادِّ، مُنَزَّهةٌ عن الفساد، مُدْرِكةٌ لذاتِها لِما[50] عدَاها بذواتِها، غيرُ متعلقة بالأجسام، على ما بيّن في الحكمة بالبرهان؛ ونص عليه في السنة والقرآن، كما قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[51]، وقال النبي عليه السلام: "إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق الخلق، إن رحمتي سبقت غضبي، فهو مكتوب عنده فوق العرش"[52]؛ وقل[53]: "خُلِقَت الملائكةُ من نور"[54]،

---

(48) خ ب، خ م: "بيان" ساقطة لذواتها ولما

(49) خ ب، خ م: هي جواهر مجردة

(50) خ ب: لذواتها ولما

(51) الإسراء: 85

(52) الحديث أخرجه البخاري في باب التوحيد باب "ويحذركم الله نفسه..." (آل عمران: 28. 30) حدثنا عبد الله عن أبي حمزة، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة – رضي الله عنه– قال: "لما خلق الله الخلق. كتب في كتابه. هو يكتب على نفسه، وهو وضع عنده على العرش "إن رحمتي تغلب غضبي"، وأخرجه البخاري في موضع آخر من كتاب التوحيد ولفظه: "قال: لما قضى الله الخلق، كتب عنده فوق عرشه، إن رحمتي سبقت غضبي". وفي باب – بدء الخلق – عن أبي هريرة قَالَ رَسول اللهِ ﷺ لَمّا قَضى اللهُ الْخلقَ كَتب في كِتابه فَهُوَ عِنْدهُ فوق الْعرْش إِنَّ رحْمتي غلبت غضبي"، وأخرجه مسلم في باب التوبة – باب– "سعة رحمة الله"، وأخرجه النسائي في النعوت، ورواه الترمذي بلفظ "إن الله كتب على نفسه "رحمتي سبقت غضبي"، وقال حديث حسن صحيح غريب. وأخرجه ابن ماجة بلفظ: "كتب ربكم على نفسه الرحمة بيده قبل أن يخلق الخلق؛ رحمتي سبقت غضبي". انظر القسطلاني 9/150، 10/281؛ والأحاديث القدسية– مكتبة الإسكندرية–مكتبة الإيمان 1/231، 230.

(53) خ ب، خ م: وقال

(54) أخرجه مسلم في صحيحه عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ "خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم" (كتاب الزهد والرقائق – حديث رقم 5314)؛ وأخرجه أحمد كذلك في مسنده عن عائشة

فنقول إنها أنوارٌ قاهرةٌ مؤثِّرةٌ فيما تحتها من النفوس والأجرام، بتأثير الله[٥٥] فيها؛ فقاهريَّتها التي هي تأثيرُها في غيرِها، صورةُ صفةِ قاهريَّةِ اللهِ تعالَى، وأثرٌ من آثارِ قُدْرَتِه؛ كما أن نُوريَّتَها سُبُحة[٥٦] من سُبُحَاتِ وَجْهِه؛ وبهذا الاعتبارِ تُسَمَّى الْمَلائكةُ الْمُقرَّبِين، وعَالَمُها عَالَمُ القُدرة؛ وكما يَفيضُ[٥٧] منه صُورةُ الأشياء وحقائقُها بإفاضةِ الْحَق سبحانه، فكذلك يَفيضُ منها صفاتُها وكمالاتُها التي تَجبرُ[٥٨] نُقْصانَها؛ وبهذا الاعتبارِ يُسَمَّى عالَمَ الْجَبَرُوت[٥٩]، أو باعتبارِ أنَّها

قالت قال رسول الله ﷺ "خُلقت الملائكةُ من نُورٍ وخُلقت الجانُ من مَارجٍ من نَار، وخُلق آدمُ عليه السلام مما وُصف لكم" (باقي مسند الأنصار حديث رقم ٢٤٠٣٨)

(٥٥) خ ب: الله تعالى

(٥٦) (سُبْحَة) وتُجمع على (سُبُحات)، ومعناها الأنوار والجلالة والعظمة، تقول "سُبُحات وجه الله" أي نور وجهه الكريم، كما رُوي في مسند أحمد عَنْ أبي عُبَيْدَةَ عَنْ أبي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ "إنَّ اللهَ عز وَجَل لا يَنَامُ وَلا ينبغي له أنْ ينامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ حِجَابُهُ النَّارُ لو كَشَفَهَا لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ كُلَّ شَيْءٍ أَدْرَكَهُ بَصَرُهُ ثُمَّ قَرَأَ أَبُو عُبَيْدَةَ (نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)". (مسند أحمد –مسند الكوفيين رقم ١٨٧٦٥)؛ وذلك يعني أنه لو انكشف شيء من أنوار الله تعالى التي تحْجُب العباد عنه، لأهلك كل من وقع عليه ذلك النور، كما خر موسى صعقاً (الأعراف: ١٤٣)، وصار الجبل دكا لمّا تجلي الله تعالى له. (لسان العرب ٢/٤٧٣)؛ تقول "أسألك بسُبُحات وجهك الكريم بما تسبح به من دلائل عظمتك، وجلالك". (الزمخشري: أساس البلاغة ٢٥٦-٢٥٧). وأصل الفعل من السَّبْح، وهو المر السريع في الماء، أو في الهواء، أو في الفلك المخصوص؛ ويعني أيضاً الحركة والنشاط من أجل تحصيل الرزق وقضاء المصالح. والتسبيح: تنزيه الله وعبادته وشكره. والصلاة تسبيح، ومن أدى وظيفته التي خلق من أجلها وسُخِّر لها، فهو مُسبحٌ لله تعالى، وكل هذه المعاني واردة في القرآن الكريم (انظر على سبيل المثال– البقرة: ٣٠ ، الرعد: ١٥؛ الإسراء: ٤٤؛ الأنبياء: ٣٣؛ الصافات: ١٤٣؛ غافر: ٥٥؛ القلم: ٢٨؛ المزمل: ٧؛ النازعات: ٣) (انظر أيضا الراغب الأصفهاني. مفردات ألفاظ القرآن ص٣٩٢-٣٩٣)

(٥٧) خ ب: وكما يفيض منها، خ م: كما يفيض منها

(٥٨) خ ب: التي بها تجبر. خ م: التي يجبر بها

(٥٩) عالم الجبروت: هو أحد الحضرات الخمس الإلهية حيث إن كل حضرة في نفسها عالم، وهي: حضرة الغيب المطلق وعالمها عالم الأعيان الثابتة في الحضرة العلمية وفي مقابلتها حضرة الشهادة المطلقة وعالمها عالم الملك وحضرة الغيب المضاف وهي تنقسم إلى ما يكون أقرب منه الغيب المطلق وعالمه عالم الأرواح الجبروتية وحضرة الملكوتية أعني عالم العقول والنفوس المجردة إلى ما يكون أقرب من الشهادة المطلقة وعالمها عالم المثال ويسمى بعالم الملكوت والخامسة

تَجبُرها على طلب كمالاتِها، والتَّوَجُّهُ إليها عند فُقْدانِها، وحِفْظُها عند حُصولِها ما أمكن؛ وهي صورةُ صِفَةِ جَبَّارِيَّةِ الله تعالى؛ ومَعلومٌ أن تلك الحقائق والكمالات الفائضة منها لو لَمْ تكن ثابتةً فيها[٦٠]، لم يكن فَيَضانُها عنها، فإذَنْ تلك الحقائقُ بأعيانِها وكمالاتِها مُنتَقِشَةٌ فيها؛ وبهذا الاعتبار تُسَمّى عُقولاً، وذلك الانتقاشُ هو صورةُ القضاءِ الإلهيِّ، فمَحَلُّهُ عالَمُ الْجَبَرُوت، وهو المسمى بأُمِّ الكِتَاب، الذي أشار إليه قوله تعالى: ﴿...يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وعِندَهُ[٦١] أُمُّ الكِتَابِ﴾ [٦٢]؛ وكلُّ ما يَفيض علينا من العلومِ الْحَقَّة[٦٣] الْموسوم[٦٤] بالعلوم الدينية[٦٥] يفيضُ عَنه؛ كما قال[٦٦] في القرآن: ﴿...وإِنَّهُ فِي أُمِّ الكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[٦٧] وقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ[٦٨] الَّذِي خَلَقَ﴾[٦٩]؛ وتلك الجواهرُ هي خزائِنُ غَيْبِيَّة[٧٠] كما قال: ﴿...وإن مِّن شَيْءٍ إلا عِندَنَا خَزَائِنُهُ...﴾[٧١] ولا

حضرة الجامعة للأربعة المذكورة وعالمها عالم الإنسان الجامع لجميع العوالم وما فيها فعالم الملك مظهر عالم الملكوت وهو عالم المثال المطلق وهو مظهر عالم الجبروت أي عالم المجردات وهو مظهر عالم الأعيان الثابتة وهو مظهر الأسماء الإلهية والحضرة الواحدية وهي مظهر الحضرة الأحدية.

(٦٠) خ م: "فيها" ساقطة

(٦١) خ ب: "الواو" ساقطة

(٦٢) الرعد: ٣٩

(٦٣) خ ب: الحقية

(٦٤) خ ب، خ م: الموسومة

(٦٥) خ ب، خ م: اللدُنية

(٦٦) خ ب: كما قال تعالى

(٦٧) الزخرف: ٤

(٦٨) خ ب، خ م: وقال "اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم"

(٦٩) العلق: ١

(٧٠) خ ب، خ م: غيبة

شكّ أنها مُتعاليةٌ عن تَعَلّقِ الزمان. مُقدسةٌ عَن تَغيُّرِ[٧٢] الحدثان[٧٣]. فالقضاء كذلك[٧٤].

(٧١) الحجر : ٢١

(٧٢) خ ب، خ م: تغير

(٧٣) الحدثان: مصائب الدهر ونوائبه، يقال نزلت به حوادث الدهر، وأحداثه، ومن ينجو من الحدثان، ومرازي الزمان؟؟ (لسان العرب ١٣٣/٢، ١٣٢؛ وأساس البلاغة ص١٤٣)

(٧٤) خ ب، خ م: كذلك والله أعلم

الفصل الثالث

[في بيان[٧٥] محل القدر]

كما أنَّ العالَمَ الروحانيَّ بجوهره الْمُجرَّد مَحَلُّ القَضَاء، فالعالَمُ النَّفْسانِي بجِرْمِه السَّماويِّ مَحَلُّ القَدَر؛ إذ الصورةُ[٧٦] الكليةُ من عالَمِ القضاء من غاية الصفاء لا يَتَرآى ولا يَتَمَثل في مَعْلُوميَّتِها[٧٧] بغيرها لشدَّة نُوريَّتِها؛ كَمِرْآة مضيئة تَرُدُّ البصرَ عن إدراكِ ما فيها من الصُّوَرِ بشُعاعها، فتُنْسَخُ[٧٨] تلك الصورُ منه في لوحِ النَّفْسِ النَّاطقَة الكُلِّية التي هي قَلْبُ العالم، كما تُنْسَخُ[٧٩] بالقلم في اللوحِ صُوَرٌ[٨٠] معلومةٌ مضبوطةٌ مَنُوطَةٌ[٨١] بعِلَلِها وأسبابِها، على وجه كُلِّيٍّ، كما يَظْهرُ في قلوبنا عند استِحْضارِنا الْمَعلوماتِ الكُلِّية، كالصُّوَرِ النَّوْعيَّةِ مَثَلاً؛ وكُبْرَيات القِياس عند طلب الرأي الجزئي الْمُنبعثِ عنه العزم[٨٢] على الفعل، وهو اللوحِ المحفوظ[٨٣] لانضباطِ تلك العقولِ[٨٤] فيها وانْحفاظها عن التغير؛ ثم ينتقشُ منه

---

(٧٥) خ ب: في بيان القدر، خ م: في محل القدر، ط ف: "هذا الكلام" ساقط

(٧٦) خ ب، خ م: الصور

(٧٧) خ ب: معلوميتها لغيرها، خ م: معلوميتها تلك لغيرها

(٧٨) خ ب، خ م: فتنتسخ

(٧٩) ح ب، خ م: كما تنتسخ

(٨٠) خ ب، خ م: صوراً

(٨١) خ م: هي منوطة

(٨٢) خ م: عزم

(٨٣) اللوحُ المحفوظ: هو الكتاب المبين و النفس الكلية، فالألواح أربعة، لوح القضاء السابق على المحو و الإثبات. وهو لوح العقل الأول، ولوح القدر، أى لوح النفس الناطقة الكلية التى يفصل فيها كليات اللوح الأول و يتعلق بأسبابها، وهو المسمى باللوح المحفوظ. ولوح النفس الجزئية السماوية التى ينتقش فيها كل ما فى هذا العالم بشكله و هيئته ومقداره، وهو المسمى بالسماء الدنيا وهو بمثابة خيال العالم، كما أن الأول بمثابة روحه، والثانى بمثابة قلبه. ولوح الهيولى القابل للصور فى عالم الشهادة (انظر التعريفات للجرجانى ص ٢٢١)

ينتقشُ منه في النفوس السماوية الجزئية التي هي قُوَى نُفُوسها النّاطقة الْمُنْبَعثة منها في أجزائها[٨٥] نُقُوشاً جزئية مَحضة[٨٦] بأشكال وهيئات مُعيّنة مُقدّرة بمقادير وأوضاعٍ مُعيّنة من لَواحِق المادة على ما يَظهر في الخارج كمَا يَنتقش في قُوانا[٨٧] الخيالية من المعلومات الجزئية كالصور الشخصية، وصُغريات القياس مثلا ليحصل بانضمامها إلى تلك الكبريات رأيٌ[٨٨] جُزئي، يَنْبَعثُ عنه القَصْدُ الحازمُ[٨٩] إلى الفعْل الْمُعين، فيجب[٩٠] عنه الفعل؛ وذلك العالَمُ هو لَوْحُ القَدَر وخَيالُ العالَم والسَّماءُ الدُّنيا التي تَنْزِلُ إليها الكائناتُ أوَّلاً من غيب الغيب[٩١]، ثم تظهرُ في عَالَمِ الشَّهادة، كما ورد في السُّنَّة؛ وتلك النُّفُوسُ مِنْ قُوَى نُفُوسِها الناطقة بمثابة قُوَانا الْخيالية مِنْ نُفُوسنا، وكُلٌّ منها[٩٢] كتابٌ مُبين، كما أُشير بقوله: ﴿...ولا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأرْضِ ولا رَطْبٍ ولا يَابِسٍ إلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ...﴾[٩٣]؛ وقوله: ﴿ومَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ[٩٤] إلا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ويَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا ومُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[٩٥]؛ وقوله: ﴿...مَا أَصَابَ مِن مُصِيبَةٍ فِي

---

(٨٤) خ ب، خ م: تلك الصور فيها

(٨٥) خ ب، خ م: في أجرامها

(٨٦) خ ب، خ م: جزئية مشخصة

(٨٧) خ ب، خ م: في قوتنا

(٨٨) وأي جزئي

(٨٩) خ ب، خ م: الجازم

(٩٠) خ ب: فيجب عليه، خ م: فيجب عنا

(٩١) خ م: من غيب الغيوب

(٩٢) خ م: منها في كتاب

(٩٣) الأنعام : ٥٩

(٩٤) ط ف: سقوط "في الأرض"

(٩٥) هود: ٦

الأَرْضِ ولا فِي أَنفُسِكُمْ إلا فِي كِتَابٍ[٩٦] مِّن قَبْلِ أن نَّبْرَأَهَا﴾[٩٧]؛ وحصول تلك الصورةِ[٩٨] الْمُعينةِ الْمُقَيدَةِ بِوقتها الْمُعَيَّن هو قدر الشيء الْمُعَيَّن الخارجي، كما قال تعالى: ﴿...ومَا نُنَزِّلُهُ إلا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ...﴾[٩٩]؛ ولا شك أن وقوعها في الخارجِ عند حضورِ ذلك الزمان ضَرُوريٌّ؛ وهذا العالَمُ هو عالَمُ الْمَلَكُوت، العُمّال بإذن الله، الْمُسَخَّرةُ بإذنه[١٠٠]، الْمُدَبِّرةُ لأمورِ العالَمِ بإعداد المواد، وتَهْيِئَة الأسباب[١٠١]؛ فمَحَلُّ القَدَر هو عالَمُ الْمَلَكُوتِ كما أن مَحَلَّ القَضَاء هو عالَمُ الْجَبَرُوت؛ وهذه[١٠٢] تحتاج إلى تفصيل.

---

(٩٦) ط ف: إلا في كتاب مبين

(٩٧) الحديد: ٢٢، ومعنى الآية يُثبت القضاء والقدر، وهو من علم الله الكلي، المطويّ عنّا، والآية فيها علاجٌ لنفوس المصابين، وتقويةٌ لهم لاستعادة توازنهم بعد حدوث المصيبة التي لم يكن لهم بها علمٌ مسبق، ولا قبل لهم بردها حال حدوثها، وليس في الآية ما يدعو إلى التواكل أو الاستسلام تذرعا بالقدر، ولذلك جاءت الآية التالية لتقول: ﴿لِكَيْلا تأْسَوْا على ما فاتكُمْ ولا تفْرَحُوا بما آتاكُمْ واللهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَال فَخُورٍ﴾.

(٩٨) خ م : تلك الصور

(٩٩) (الحجر: ٢١)، ومعنى الكلام أن الشيء يخرج من عالم القضاء إلى عالم التقدير والوجود الواقعي.

(١٠٠) خ ب، خ م: بأمره

(١٠١) خ م: ما بين الأقواس ساقط

(١٠٢) خ ب: وهذه "جملة" تحتاج

الفصل الرابع

في تفصيل ما ذكر إجمالاً

وهو أنّ الأجرامَ السّماويةَ ذوات نُفُوسٍ ناطقَة، لها إدراكاتٌ وإراداتٌ كليةٌ بذواتِهَا، وإدْراكاتٌ وإرَادَاتٌ جزئيةٌ بآلاتِها؛ كحَالِ نُفُوسنَا بعيْنِها تشتاقُ كلٌّ منْها إلَى جوهرٍ[١٠٣] روحيٍّ هُو مفيضُها ومُكمّلها القريب، تشبيهاً به لإدراكِها بعضَ كمالاته؛ فتَطلبُ وضعاً كُلّيا تَستعدّ به لذلك التشبيه[١٠٤]، وينْضَم إلى إدْراكاتِها الكلية إدراكاتٌ جزئيةٌ، فيَنْبعثُ منها أشواقٌ وإرادَاتٌ جُزئيةٌ تُوجِبُ حركاتٍ[١٠٥]، كما هو حالُها في حركاتِها[١٠٦] عند إرادة تحصيل مطلوبٍ ما، وبكلّ حركةٍ يَحْصلُ للتحرك[١٠٧] بهَا وضعٌ جديدٌ يَفيضُ ذلك الوضعُ على نفسها من معشوقها[١٠٨] صورةً عقليةً هي كمالٌ لها، وإشراقٌ نُوريٌّ يُوجب لها لذةً جديدةً، وشوقاً جديداً إلى كمالٍ آخرَ، وإرادةً لما يُوصَل إليه من الوضع، فينطبعُ من تلك الصورةِ في قُوَّتِها الخيالية صورةٌ جزئيةٌ[١٠٩]، ينبعث منها شوقٌ جزئيٌّ، وطلبٌ لوضعٍ جزئيٍّ مُخصَصٍ[١١٠] بها الإرادةُ الأولى الكُليَة؛ فتصيرُ إرادةً

(١٠٣) خ ب: إلى كمال جوهر

(١٠٤) خ ب: لذلك الشبه

(١٠٥) خ ب: حركات جزئية

(١٠٦) خ ب: كما هو حالنا في حركاتنا

(١٠٧) خ ب: للمتحرك

(١٠٨) خ ب: بذلك الوضع على نفسه من معشوقه

(١٠٩) خ ب: صورة جزئية مع لذة جزئية

(١١٠) خ ب: يتخصص به

جزئيةً بحركةٍ جزئيةٍ[١١١] مُوجبةٍ لذلك الوضعِ. يُتصَوَّرُ[١١٢] عنه حركةٌ أخرى جزئيةٌ، وينزلِ بكل وضعٍ من تلك النفوسِ على موادِ العالَمِ، بحسب استعداداتِها. صورٌ يَكْمُلُ بها الموادُ[١١٣]، وتَهيؤٌ لقبولِ الصورةِ التّاليةِ هذهِ الصُّورِ الحاصلةِ التي ستحدثُ بالوضعِ اللاّحقِ لهذا الوضعِ الحاصلِ. وعلى هذا تتعاقب الْحركات وتتلاحق الأوضاع، فتتوالى[١١٤] الصُّورُ على النفوس السماوية، ويتواتر فيضانُها على المواد متتاليةً[١١٥]، فتتعاقبُ استعداداتُها لقبول الصُّور، وتترادف صورها.

وقد مَرَّ أن ثُبوتَ الصُّور في مَعشُوقِها، التي هي الأرواح، ثُبُوتاً سَرمدياً[١١٦]، باقياً على حاله، أزلاً وأبداً؛ هو القَضَاءُ؛ فحدوثها في النفوس الخياليةِ السماوية منطبعةً في أجزائها[١١٧] مُتَشخّصةً هو الْمُقدّرُ[١١٨].

وبعضهم يُطْلقون القَدَرَ على حصولِ تلك الصورة[١١٩] في مَوادِّها الْمُتَعَيّنة في الخارج[١٢٠]، ويرون أن المحوَ والإثباتَ[١٢١] لا يكونان إلا في الموادِ والصورِ

---

(١١١) خ ب: جزية جازمة لحركة جزئية

(١١٢) خ ب: فيصدر عنه

(١١٣) خ ب: صور تتكمل بها تلك المواد وتتهيأ

(١١٤) خ م: فتوالى

(١١٥) استعمل الكاشاني هنا كلمتي "توالي". و"تتالي". والتوالي: هو كون شيء بعد شيء بالقياس إلى مبدأ محدود. وليس بينهما شيء من بابهما. والتتالي: كون الأشياء التي لها وضعٌ ليس بينها شيء آخر من جنسها. (حجة الإسلام الإمام الغزالي- كتاب الحدود- ضمن كتاب المصطلح الفلسفي). والتواتر: هو الخبر الثابت على ألسنة قوم لا يتصور تواطؤهم على الكذب (التعريفات للجرجاني ص٧٦)

(١١٦) خ م: سرمدا

(١١٧) خ ب، خ م: في أجرامها

(١١٨) خ ب، خ م: هو القدر

(١١٩) خ ب، خ م: تلك الصور

(١٢٠) خ ب: "في الخارج" ساقطة. خ م: المعينة في الخارج .

الجزئية المُنطبعة في الفَلَكيات ثابتة أبداً بخلاف. ونحن نرى أن المحو والإثبات فيهما[122] فيَتبعُهما الكونُ والفسادُ[123] في المواد؛ ولا شك أن الثاني لازمٌ للأول لزوماً ضرورياً.

وعلى أي حال، فمنَ الأوضاعِ أوضاعٌ كلية يَتْبَعُها كَونُ الأعيانِ وفسادُها؛ ومنها جزئياتٌ يتبعها أحوالُها المترادفة وكمالاتُها المتعاقبة، وهذه الجزئياتُ متخللةٌ بين تلك الكليات متداخلةٌ فيها؛ فيكونُ كلُّ طائفة من الأوضاعِ المترتبة المُوجبةِ لكَمالِ كَائنٍ مَا، أو حُدوثِ حالٍ منْ أحواله وتَغيُّرها: منحصرةً من[124] وَضعَيْن منها: أحدهما يقتضي حدوثَ ذلك الكائن والثاني يقتضي زوالَه: والامتدادُ الواقعُ بين هذين الوَضعَيْن، المُستمرُّ[125] مع تلك الأوضاعِ المُتخلِّلَة بينهما، الذي هو مَجْموعُ مقاديرِ الحركاتِ المُوجبة لتلك الأوضاعِ مُدة بَقاءِ ذلك الحادث عند الوضع[126] الأخير، هو الكتابُ المشارُ إليه بقوله - تعـالى-: ﴿...لِكلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ...﴾[127]، إنْ فَسَّرنَا الأَجلَ بِمَعْنى انْتِهاءِ المُدَّةِ؛ وإن فسرناه بمَعنى جَميعِ المُدَّةِ، فالنَّفس[128] الحادثُ عند الوَضْع الأولِ مع سَائرِ النفوسِ

---

(121) المحو والإثبات: هما المشار إليهما في قوله تعالى: ﴿..يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب...﴾

(122) خ م: فيهما

(123) الكون والفساد: خ م: فيتبعهما، الكون والفساد والكون: عبارة عن خروج شيء من العدم إلى الوجود دفعة واحدة، في طرف زمان، لا يسيراً يسيراً. وأما الفساد: فعبارة عن خروج شيء من الوجود إلى العدم دفعة واحدة. ليسيراً يسيراً. (المصطلح الفلسفي عند العرب - ص ٣٥٥)

(124) خ ب. خ م: بين

(125) خ م: المسمى

(126) خ ب. خ م: ذلك الحادث والنفس الحادث عند الوضع

(127) الرعد: ٣٨

(128) خ م: والنفس. خ ب: فالنفس

الواقعةِ بينهمَا عند كل وَضع إلى ذلك النفس؛ ولا شك أن تلك الْمُدة معينةٌ بأحوالٍ تُقَدّر ذلك الحادِثَ بحسب أجزائها، بحيثُ لا يقعُ كلُّ حالٍ منها[١٢٩]، إلا في جزءِ جزءٍ مُعَيّنٍ من أجزاء ذلك الزمان؛ ولهذا لا يُمكنُ الفرارُ من القَدَر. كما قال تعالـى: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ المَوْتِ أَوِ القَتْلِ...﴾[١٣٠] وقال: ﴿...فَإِذَا[١٣١] جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[١٣٢].

وأمّا نفوسُ[١٣٣] عالَمِ القَضَاءِ فلأنّها مُنَزَّهةٌ عن الْحَدَثَان غيْرُ مُتقدَّرة بحَسَب أجزاء الزمان، قال ﷺ في جواب من سأله عند انْحرافه عن جدارٍ يُرِيدُ أن يَنْقَضَ[١٣٤]: "أتفر من قضاء الله؟"، "أفر من قضائه إلى قدره"[١٣٥]، فتحقَّق أن قَدَرَهُ تَفْصِيلُ قَضَائِه، والله بكل شيءٍ مُحيط.

---

(١٢٩) خ ب: كل حال خال منها إلا؛ خ م: كل حال خال إلا

(١٣٠) الأحزاب: ١٦

(١٣١) ط ف: إذا

(١٣٢) الأعراف: ٣٤

(١٣٣) خ ب. خ م: وأما نفوش

(١٣٤) خ ب: قال. أتفر

(١٣٥) وهذا كما قال أبو عبيدة لعمر رضي الله عنهما لما أراد الفرار من الطاعون بالشام: أتفر من القضاء؟ قال: أفر من قضاء الله إلى قدر الله (انظر: بصائر ذوي التمييز ٤/٢٧٨؛ وهذا شطر من حديث طويل أخرجه البخاري في الطاعون. وفيه (فنادى عمر في الناس: إني مصبح على ظهر، فأصبحوا عليه، فقال أبو عبيدة: أفرارا من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة. نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله...) الحديث في فتح الباري ١٠/١٧٩)؛ تنبيها أن القدر ما لم يكن قضاء فمرجو أن يدفعه الله. فإذا قضى فلا مدفع له ويشهد لذلك قوله: "وكان أمرا مقضيا" [مريم/٢١] وقوله "كان على ربك حتما مقضيا" [مريم/٧١]، "وقضي الأمر" [البقرة/ ٢١٠] أي: فصل تنبيها أنه صار بحيث لا يمكن تلافيه. وقوله: "إذا قضى أمرا" [آل عمران/٤٧].

الفصل الخامس

في إيرادِ مِثَالٍ مُناسبٍ لِهذا المعنى

اعلم أن صُورةَ العالَمِ بعينها كصورة الإنسان[١٣٦]؛ فكما أنّ لأفعالِ الإنسانِ عند صدورها عنه[١٣٧] وبُروزِها من مَكَامِن غَيْبِها إلى مَظَاهر شَهادتها[١٣٨] أربعةَ مراتب لِكونهَا، أولاً في مكمن روحه[١٣٩] الذي هو غَيْبُ غُيُوبه في غَايةِ الخَفاء[١٤٠]، كأنها غيرُ مَشعورٍ بِها، لغاية الصفاء[١٤١]؛ ثُم تَنْزِل إلى حَيِّز قَلبه[١٤٢] عند استحضارِها وإخْطَارها بالْبَال كُلية؛ ثُم تَنْزِل[١٤٣] إلى مَخْزَن خَيَاله مُشَخَّصَةً جزئيةً؛ ثُم تَتَحركُ أعضاؤُه عندَ إرادَةِ إظهَارِها فتَظْهر في الْخَارِج، فكذلك لِمَا يَحْدثُ في العالَمِ مِن الْحَوادث، إذِ الأُولَى بِمَثابة القضاء، والثّانية بِمثابةِ نفس[١٤٤] اللوحِ الْمحفوظ، والثالثةُ[١٤٥] بِمثابةِ الصُّورة في السماء الدنيا.

---

(١٣٦) خ ب: إنسان

(١٣٧) خ ب، خ م: منه

(١٣٨) يعني خروجها إلى عالم الشهادة والوجود بالفعل.

(١٣٩) أي روح الإنسان

(١٤٠) خ ب: الصفاء

(١٤١) خ ب: "لغاية الصفاء" ساقطة

(١٤٢) القلب عند الصوفية يمنى لطيفة ربانية لها بهذا القلب الجسماني الصنوبرى الشكل، المودع في الصدر. تعلق، وتلك اللطيفة هى حقيقة الإنسان، ويسميها الحكيم، النفس الناطقة، والروح باطنة، والنفس الحيوانية مركبة. وهي المدرك، والعالم من الإنسان، والمخاطب والمطالب والمعاتب. (التعريفات. ص ٢٠٣)

(١٤٣) "تنزل" ساقطة

(١٤٤) خ ب، خ م: نقش

(١٤٥) خ ب، خ م: والثالثة (بمثابة الصورة في السماء الدنيا، ونقش لوح القدر على ما نرى [خ ب: على ما نراه] والرابعة) بمثابة الصورة الحادثة ... ما بين الأقواس ساقط من ذ ف

ونَقش لوحِ القَدَر على ما نَرى؛ والرابعة بمثابةِ الصورة الحادثة من[١٤٦] المواد العنصرية.

ولا شكَّ أن النُّزُولَ الأوّلَ لا يكون إلا بإرادةٍ كُلّيةٍ؛ والنزول الثاني بإرادةٍ جزئيةٍ خفيةٍ يَنْضَمُّ إلى الإرادةِ الأُولَى الكلية؛ وتتخصص[١٤٧] بها[١٤٨] فتصير جزئيةً، فينبعث بِحسب مُلاَئَمتِها ومُنَافرتِها رأْيٌ جزئيٌّ، يستلزمُ إرادةً جازمةً داعيةً إلى إظهارِه، فتَتَحركُ[١٤٩] الأعضاءُ والْجَوارحُ، ويَظهر[١٥٠] الفعلُ؛ فحركةُ الأعضاءِ بمثابة حركةِ السَّماء، وظُهورُ الفعلِ هو القَدَرُ على المذهب الثاني؛ وكما أن سُلطانَ الروحِ الذي هو التَّعَقُّلُ والإدراكُ في الْبدنِ لا يكونُ إلاَّ[١٥١] في الدِّماغِ، فَكَذلكَ سُلطانُ الروحِ الكُلّيِّ الذي هو روح العالَم ليس إلاَّ في الْعَرشِ؛ فهو مِنَ العالَم بِمَنْزِلة الدِّماغ مِنَّا؛ وكما أن مَظْهَره الأوّل فينا هو القلبُ، الذي هو مَنبَعُ الحياةِ، فكذلك مظهرهُ الأولُ فيه هو الفَلَكُ الرّابع، الّذي هو فَلَكُ الشَّمسِ، ومَنبعُ حياةِ العالَمِ؛ فهو من العالَمِ بِمَنْزِلَة (الصَّدرِ، والشَّمس)[١٥٢] بمَنْزِلة القَلب الصَّنُوبري[١٥٣] مِنَّا. وأمَّا القَلْبُ الحقيقي فهو النَّفْسُ النَّاطقَة الكُلِّيَّة، كما

---

(١٤٦) خ ب، خ م: في المواد

(١٤٧) خ ب، خ م: فيتخصص بها

(١٤٨) أي يتحدد بشكلها ومعناها

(١٤٩) خ ب، خ م: فتتحرك

(١٥٠) خ م: فيظهر

(١٥١) خ م: لا يكون يظهر إلا

(١٥٢) ما بين الأقواس ساقط من خ ب، خ م: بمنزلة القمر والشمس بمنزلة

(١٥٣) خ ب، خ م: القلب الصوري

ذكرنا[١٥٤]؛ ورُوحُ هذا الفَلَكِ بِمَثابة الروح الْحَيَوانِيّ الذي في القَلب؛ إذ به يَحْيَى جميعُ الأعضاءِ، وهو البَيْتُ الْمَعْمور الْمَشْعُور[١٥٥] في الشريعة أنّه في السّماء الرابعة الْمُقْسَم بِهِ في التّنزيل، حيث قال: ﴿وَالطُّورِ • وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ • فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ • وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ • وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ • وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾[١٥٦].

ولهذا جُعِلت[١٥٧] مقامُ عِيسى روح الله عليه السلام[١٥٨]؛ وكانتْ معجزتُه إحياءَ الْموتى، و"الطور" هو العرش؛ و"الكتاب المسطور" هو نفس[١٥٩] القَضاء الأوّل الثّابتِ في الرّوح الأول، وذلك الروحُ هو "الرق المنشور"؛ و"السقف المرفوع" هو السماء الدّنيا المذكورةُ، وقُرِنَت بـــ "البيت المعمور" لِنُزُول الصورة منها، ونَفْخ الرّوح مِنه، فيَتِمّ خَلقُ الْحيوان بِهما، و"البحر المسجور" هو بَحرُ الْهَيُولي[١٦٠] السّيالة المملوءَة بالصُّوَر[١٦١].

---

(١٥٤) خ ب: سقوط "كما ذكرنا"

(١٥٥) خ ب: المشهورة. خ م: المشهور

(١٥٦) الطور: ١- ٦

(١٥٧) أي السماء الرابعة

(١٥٨) خ ب: عليه السلم . خ م : صلى الله عليه وسلم

(١٥٩) خ ب : هو نفس

(١٦٠) الهيولي: لفظ يوناني بمعني الأصل والمادة، وفي الاصطلاح هو جوهر في الجسم. قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال. محل للصورتين الجسمية والنوعية (التعريفات- ص ٢٨٧). وعند الصوفية: هي اسم الشيء بنسبته إلى ما يظهر من صورة. فكل باطن يظهر فيه صورة يسمونه هيولى. الكاشاني- معجم اصطلاحات الصوفية ص ٧٢

(١٦١) خ ب. خ م: بالصور والله أعلم

الفصل السادس

في بيان الأفعال الاختيارية

قد تَبيّن فيما سلف أنّ كلّ ما يَقعُ في هذا العالَم مُقَدّرٌ بِهيئته وزَمانِه في عالَمٍ آخر قَبلَ وجودِه؛ فإنْ اشتبَهَ عليكَ حالُ الأفعَال المنسوبة إلى الاختيَار وتُخيِّل إليك أنّها على هذا التقديرِ تكونُ بالاضطِرار[١٦٢]، فمَا بالُنَا نتصرف[١٦٣] بالتّدْبير والتّغْيِير، ونُصرّفها بالتّقْدم والتّأخير؛ ونَجدِ الفرق بين الْمُجبر عَلَيها والْمُختَار، والْمُضْطَر؟؛ ولِمَاذَا يُؤخذُ بِهَا[١٦٤]، ويُعاقَب عَليها[١٦٥] ويُؤجَرُ ويُثاب[١٦٦]، ويقصد بِها؟ وما الفرقُ بين سَهْوِها وعَمْدِها؟ وكيف يَتّجهُ الْمَدحُ والذَم لَها[١٦٧]؟ وأنّى يَتوجّه الأمْرُ والنّهْي[١٦٨]؟ وأيُّ فائدة للتّكْليف بالطّاعَات والعِبادات[١٦٩] ودعوةِ الأنبياء بالآياتِ والمعجزات؟ وأيُّ تأثيرٍ للسّعْي والْجَهد؟ وأيّ تَوَجّهٍ لِلوعْد والوَعيد[١٧٠]؟ وما مَعنى الابْتلاء في مثل قوله تعالى: ﴿...لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً...﴾[١٧١]؟ وما لاَ يُحْصَى كثْرةً من الآيات الدّالة على

(١٦٢) خ ب: لا يكون الاضطرار ، خ م: يكون بالاضطرار

(١٦٣) خ ب، خ م: نتصرف فيها

(١٦٤) خ ب: ولماذا نؤاخذ بها، ولما نواخذ بها

(١٦٥) خ ب، خ م: ونعاقب عليها

(١٦٦) خ ب، خ م: أو نؤجر ونثاب بقصدها

(١٦٧) خ ب، خ م: والذم لنا

(١٦٨) خ ب، خ م: الأمر والنهي إلينا

(١٦٩) خ ب: "والعبادات" ساقطة

(١٧٠) خ ب، خ م: وأي توجيه للوعيد والوعد

(١٧١) الملك: ٢

أنّ مدارَ التّكليفِ هو الاختيار؛ وبناءُ أمرِ الاختيارِ على الاختيارِ[١٧٢]؛ بل كان[١٧٣] قاعدةُ التكليف والتدبير غباءً وهباءً[١٧٤]، وأكثرُ كلامِ الله هَذاراً وهراءً[١٧٥]؛ فاستغفرِ اللهَ العظيمَ، وتُبْ إليه، ثُمّ تأمّل جريانَ الأمرِ الإلهي في مَجاري القضاءِ والقَدَرِ، وتفكّر في تَرتيب[١٧٦] سلسلة الأسباب والعلل، وتَدَبّر مَباني الأُمورِ حقَّ التّدْبير[١٧٧]، ومَعَاني الآياتِ بقُوّة التّفكّر، عَسَى اللهُ أن يُؤيِّدَك بالتوفيقِ بعدَ الاستغفار، فتَبادر عند التحقيق إلى الاعتذار؛ إذِ القَضاءُ والقَدَر يُوجبَان[١٧٨] ما يُوجبَان بتوسُّط أسبابٍ وعِلَلٍ مترتبةً منتظمة، بعضُها مُدبّرات ومُعدّات، كالنفوس السماوية والحركاتِ والأوضاعِ الفَلَكيّة، والصُّوَرِ واللّواحقِ المَادّية، والأمورِ الجارية مَجْرى الأشياءِ الاتّفاقيّة، وغيرها من الإدراكات والإرادات الإنسانيةِ بالحركات[١٧٩] والسكنات الحيوانية؛ وبعضُها فاعلاتٌ مفيضات[١٨٠] كالمبادي العالية من الجواهر العقلية[١٨١]؛ وبعضُها قَوابلُ[١٨٢].

---

(١٧٢) خ ب: وبناء الأمر الأخيار على الاختيار

(١٧٣) خ ب. خ م: بل نحال

(١٧٤) خ ب. خ م: والتدبير على هذا التقدير عبثا وهباء

(١٧٥) خ ب: هذوا وتنزا، خ م: هدرا وهواء

(١٧٦) خ ب. خ م: في ترتب

(١٧٧) خ ب. خ م: حق التدبر

(١٧٨) خ ب. خ م: والقدر إنما يوجبان

(١٧٩) خ ب. خ م: والحركات

(١٨٠) خ ب. خ م: ومفيضات

(١٨١) خ ب: العالية

(١٨٢) قوابل: أي تستقبل فعل الفاعلات وفيض المفيضات. فهي للفعل، والفيض كالأواني لها، على سبيل المثال

[والاستعدادات[١٨٣] ذاتيةً وعارضية]، إياها تَختص بحالٍ دون حالٍ وصورةٍ دون صورةٍ؛ ترتيباً[١٨٤] وانتظاماً، مُبيَّناً[١٨٥] مَعلوماً في القضاء السابق. فاجتماعُ تلك الأمورِ التي هي الأسبابُ والشّرائطُ مع ارتفاعِ الْموانعِ علّةٌ تامّةٌ؛ يَجبُ عندها[١٨٦] وجودُ ذلك الأمرِ الْمدبَّر الْمقْضِيِّ الْمُقدّر؛ وعند تَخلّف واحد منها أو حصولِ مانعٍ، بَقِيَ وجودُه في حَيّز الإمْكان، كأن لم يكن واحدٌ منها سواء؛ فإذا كان من جُمْلة الأسباب، وخصوصاً القريبةِ منها، وجودُ هذا الشّخص الإنسانيّ أو الحيواني، وإدراكُه، وعلمُه، وقدرتُه وإرادتُه وتَفكرُه وتَخيلُه[١٨٧] اللّذان تَختار بهما أحدَ طَرَفَي الفعل والترك، كان فعلُ ذلك اختياراً واجباً وقوعُه بِجَميعِ تلك الأمُور الْمُسماةِ علةً تامّةً مُمْكناً بالنّسبة إلى كل واحد منها؛ فوجوبه لا ينافي كَونُه بالاختيار؛ كيفَ وأنه ما وجب إلا به! فإنْ شئْت[١٨٨] أنْ نُفصّل لك هذه الْجملةَ تفصيلاً واضحاً ونُبيِّنَها بَياناً شافياً، فَلْنُورد تَلخيصاً[١٨٩] في فَصْل مُفْرَدٍ؛ فاستمع إليه، مُتَيَقظاً وفَرِّغْ لي قَلْبَك مُتَفَطّناً، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[١٩٠]

---

(١٨٣) خ ب، خ م: واستعدادات؛ والكلام بدون أقواس

(١٨٤) خ ب، خ م: ترتبا

(١٨٥) خ ب، خ م: متقناً

(١٨٦) خ ب: يجب من وجودها وجود

(١٨٧) خ ب، خ م: وتفكره أو تخيله

(١٨٨) خ ب، خ م: وان اشتهيت

(١٨٩) خ ب، خ م: فلنورد تلخيصا

(١٩٠) ق: ٣٧

الفصل السابع

فِي تفصيل مَا أُجْمِلَ وتَلْخيص ما أُورِدَ

اعلم أن الإدراكَ والعلمَ والقدرةَ(١٩١) كلُّها من الكَيْفيَات النفسانية ومعانيها البديهيَةَ(١٩٢)؛ وأما تفريقها بِحسب الاسْم والاستعمال في هذا القسم: **فالعلمُ** حصولُ صورةُ الشيءِ في النفس؛ **والإدراكُ** الشعورُ(١٩٣) بأحدِ المشاعرِ الظاهرةِ كالحواسِ، أو الباطنة(١٩٤) كالعقلِ والوهمِ(١٩٥) الذي هو مَبدأُ العلمِ؛ **والقدرة** هي الهيئةُ النَّفْسَانيةُ التي يُمْكِن بِها الفعلُ(١٩٦) والتَّركُ على السواء؛ **والإرادة** هي العزيـــمَةُ الْجَازِمَةُ الباعثةُ على الفعلِ أو الترك؛ فإذا أدْرَكْنا شيْئاً عَلِمْناه، وإذا عَلِمْناه، فإن وَجَدْنا مُلاءَمَتَه أو مُنَافرَتَه لنا دَفْعة بالوَهْم أو بِبَديهيَة العَقل، انبعثَ مِنَّا شوقٌ إلى جَذبِه أو دَفْعه(١٩٧)؛ ذلك الشوقُ بعينَه هو العزمُ الجازمُ الْمُسَمَّى إرادةً؛ وإذا انْضَمتْ إلى القُدرةِ التي هي هيئةُ القوةِ الفاعِلَة، انْبعثَتْ تلكَ القوةُ لتحريكَ الأعضاءِ، فتجعلُ(١٩٨) الحركةَ واجبةً بالاختيار، وهو انضمامُ الإرادة إلى

---

(١٩١) خ ب، خ م: والقدرة والإرادة

(١٩٢) خ ب، خ م: بديهية

(١٩٣) خ ب، خ م: والإدراك هو

(١٩٤) والباطنة

(١٩٥) الوهم: هو صورة ذهنية مركبة ليس لها ما يطابقها في الخارج وهو قوة جسمانية للإنسان. من شأنها إدراك المعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوسات. وهذه القوة حاكمة على القوى الجسمانية كلها. مستخدمة إياها استخدام العقل للقوى العقلية بأسرها. (انظر التعريفات للجرجاني ص ٢٨٢- ٢٨٣، والمعجم الفلسفي ص٢١٥)

(١٩٦) خ ب، خ م: التي يتمكن من

(١٩٧) خ ب، خ م: أو دفعه دفعه بذلك

(١٩٨) خ ب: فيحصل

القدرة؛ وإن لم نجد الملاءمة والمُنافرة[199] بالضرورة، استُعمِلَ العقلُ قوةُ التفكر، أو الوهمُ قوةُ التخيّل لطَلَبِ الترجيح بإرادة عقلية، أو وهمية؛ فيتحركان حركةً اختياريةً في الطلب، فربّما كان مُلائما ببعض الوجوه، غيرَ ملائمٍ ببعضها، ككونه ملائماً لبعض الحواسِ غيرَ ملائمٍ لبعضها؛ أو ملائماً لبعضِ الأعضاء غيرَ ملائمٍ لبعضها؛ أو ملائماً للحِسِّ غيرَ ملائمٍ للعقلِ، وبالعكس؛ أو ملائماً في العاجِل غيرَ ملائمٍ في الآجِل أو بالعكس؛ أو[200] ملائماً بِحَسب بعض المصالح غيرَ ملائم بحسب بعضها؛ ويَحْدث بِحسب كلِّ ملاءمة داعٍ، وبِحَسب كلِّ مُنافَرَة صارفٍ؛ فإنْ تَرَجَّحَت الدَّواعي، حدَث عزمٌ جازمٌ [على الفعل فيجب الفعل بانضمام ذلك العزم إلى القدرة، الذي هو الاختيار؛ وإن ترجحت الصوارفُ حدث عزمٌ جازمٌ][201] على الترك بالاختيار، وهناك يتوجه الثناء واللائمة[202]، والمدحُ والذمُّ بِحَسب حُسْن الاختيار[203]، وتَرتُّب الثَّواب والعِقاب، ويَظهرُ الفرقُ بين المُكْرَه والمُختار، وربَّما لاَ يظهرُ وجْهُ الرُّجحان، فبقي النَّفس في التَّردُّد [والتحيّر][204]، أو يظهرُ على بعضِ الأوضاعِ والتقادير دون البعض، فيحدثُ التصرفُ والتَّدبير بالتَّغْيير من وَجْهٍ إلى وَجْه، وحالٍ إلى حالٍ، والتَّقْديم والتَّأخير، مِنْ وقتٍ إلى وقت، على مُقْتَضى الرأي الصحيح[205]

---

(199) خ ب، خ م: الملائمة أو المنافرة

(200) خ ب: للعقل أو بالعكس

(201) ما بين الأقواس ساقط من ط ف

(202) خ ب، خ م: والملائمة والمدح والمذمة

(203) خ ب، خ م: حسن الاختيار [بقوة التفكر والتخيل وسوء الاختيار] وترتب الثواب (ما بين الأقواس ساقط من ط ف)

(204) ما بين الأقواس ساقط من ط ف

(205) خ ب، خ م: الرأي أو الفاسد

أو الفاسد؛ ولاَ شَكَّ أن وجودَ الإدْراكِ، والْعِلمِ، والقُدرةِ، والإرادةِ، والتَّفكُّرِ، والتَّخيُّلِ، وسائرِ القُوَى والآلات مع ترتيبها كلّها بفعل الله تعالى لا بفعلنا واختيارنا، وإلا لَتسَلْسَلَت القدَر والإرَادَاتُ إلى غير نِهَاية أو دَارَت[٢٠٦]؛ فَمَنْ نَظَر إلَيْها قَاصِراً نَظَرَه على تلك الأسباب القريبة للفعل ورآها مُؤثِّرَةً بالاستقْلاَل، قال بالقَدَر والتَّفْويض، أي بكونها واقعةً بقُدْرتنا، مُقدَّرَة بتَقْديرنا مُفوَّضَة إلينا، ولهذا قال النبي ﷺ[٢٠٧]: "القدريةُ مَجوس هذه الأمة"[٢٠٨]؛ لأنها تُثبت مَبْدأين

---

(٢٠٦) الدور والتسلسل: الدور هو توقف الشيء على ما يتوقف عليه. ويسمى الدور المصرح. كما يتوقف (أ) على (ب) وبالعكس. وبمراتب ويسمى الدور المُضمر كما يتوقف (أ) على (ب). و(ب) على (ج). و(ج) على (أ)؛ والفرق بين الدور وبين تعريف الشيء بنفسه، هو أن في الدَّوْر يلزم تقدمه عليها بمرتبتين إن كان صريحاً، وفي تعريف الشيء بنفسه يلزم تقدمه على نفسه بمرتبة واحدة. والتسلسل (في الفلسفة) هو ترتيب أمور غير متناهية، وأقسامه أربعة. لأنه لا يخفى. إما أن يكون في الحوادث، والأول إما أن يكون فيها ترتيب أولا، والثاني كالتسلسل في النفوس الناطقة والأول إما أن يكون ذلك الترتيب طبيعياً كالتسلسل في العلل والمعلولات والصفات والموصفات أو وضعياً كالتسلسل في الأجسام.(التعريفات للجرجاني ص ١١٧. ٦٦)

(٢٠٧) خ ب: ولهذا قال عليه السلام

(٢٠٨) الحديث بتمامه: "القدرية والمرجئة مجوس هذه الأمة" رواه أبو داود في السنن باب ١٦. وابن ماجة في المقدمة باب ١٠. وأحمد في المسند (٢/٨٦، ٥/٤٠٧). والقدرية هم فرقة تزعم أن كل عبد خالقٌ لفعله. فهو بالتالي حر يملك إرادة مطلقة Free Will؛ ويرون أن الكفر والمعاصي بتقدير الله تعالى؛ فهم ينفون القدر. وافترقت القدرية المعتزلة عن الحق إلى عشرين فرقة؛ كل فرقة منها تكفر الأخرى؛ يجمعها كلها أمورٌ كفرية وبدعية واحدة. فهم جميعاً ينكرون صفات الله تعالى الأزلية ويقولون بأن الله له علم ولا قدرة؛ ولا حياة ولا سمع ولا بصر ولا صفة أزلية؛ وقالوا باستحالة رؤية الله عز وجل بالأبصار. وقالوا كذلك بحدوث كلام الله تعالى وحدوث أمره ونهيه وزعموا أن الله تعالى غير خالق لأعمال العباد وأكسابهم، وأن الناس هم الذين يُقدِّرون أعمالهم، وليس لله في ذلك أدنى دخل. ومن أجل ذلك سماهم المسلمون بالقدرية (البغدادي- الفَرْق بين الفِرَق ص٩٣ -٩٥). وأما حديث القدرية مجوس هذه الأمة. فهو حديث مشهور رواه ثمانية من الصحابة عمر، عبد الله بن عمر. حذيفة بن اليمان، وابن عباس، وجابر. وأبو هريرة. وسهل بن سعد. وأنس بن مالك، وخرجه منهم ستة عشر نفساً؛ بأكثر من عشرين طريقاً؛ رواه عنى سبيل المثال أبو داود في سننه كتاب السنة. باب في القدر ورواه أحمد في مسنده٢/٥. ورواه اللالكائي عن ابن عمرو بن عباس وأحمد وأبو داود والطبراني والبيهقي.

قَادِرَيْنِ مُسْتَقِلَّيْنِ، كالمجوس القائلين بـ "يزدان" و"أهرمن" اللذين أحدُهما مَبْدأ الخيْرِ عندهم[٢٠٩]، والثاني مَبْدأُ الشرِّ بالاستقلال؛ وقد أصروا على أن الشرور مِنَّا تَقَعُ لا بإرَادَةِ الله تعالى[٢١٠] ومشيئَتِه؛ ومَنْ نَظَرَ إلى السَّبَبِ الأولِ وكونِ تلك الأسبابِ والوسائطِ مُسْتَنِدَةً بأسرِها، على التَّرتيبِ الْمَعْلومِ في سِلسلةِ العِلَلِ والمعلولات، إلى الله تعالى[٢١١]، اسْتِنَاداً واجباً، وتَرْتِيبًا مَعْلوماً على وفقِ القضاءِ والقَدَرِ، وقَطَعَ النَّظَرَ عنِ الأسْبَابِ القَرِيبَةِ مُطْلَقاً، قَال بالْجَبْرِ[٢١٢]، وخَلْقِ

والمجوس هم أهل التثنية كما أن النصارى هم أهل التثليث. فقد أثبت المجوس أصلين اثنين مُدَبِّرَيْن قديمين. يقتسمان الخير والشر. والنفع والضر، والصلاح والفساد، يُسمون أحدهما النور. والثاني الظلمة؛ ويطلقون عليهم في اللغة الفارسية يزدان وأهرمان. وقد أشار إليهما التاشاني في النص الذى بين أيدينا. ومسائل المجوس كلها تدور على قاعدتين. إحداهما بيان سبب امتزاج النور بالظلمة، والثانية سبب خلاص النور من الظلمة. وجعلوا الامتزاج مبدأ. والخلاص معاداً. غير أن المجوس الأصلية زعموا أن الأصلين لا يجوز أن يكونا قديمين أزليين. بل النور أزل. والظلمة محدثة؛ وقد اختلفوا في تفسير كيفية صدور الشر أو الظلمة؛ أبن النور حدث الشرُّ؛ والنور لا يحدث شر جزئياً. فكيف يحدث أصل الشر، أم أنه حدث من شئ أخر. ولا شئ يشترك مع النور في الإحداث والقدم؛ وهكذا كثر خبط المجوس عندما تكلموا- بمحض عقولهم- عن الله تعالى، ومن هنا شبّه النبيﷺ صلة القدرية بالمجوس.(الشهرستاني- الملل والنحل ٣/ ٥٢ -٥٣، وانظر كتابي إخوان لصفا وآراؤهم الكلامية والفلسفية).

(٢٠٩) خ ب: [عندهم] ساقطة

(٢١٠) خ ب: [تعالى] ساقطة

(٢١١) خ ب: [تعالى] ساقطة

(٢١٢) الجبرية: Fatalism وأهل الجبر هم الذين ينفون أن يكون للعبد قدرةٌ أو تأثيرٌ على أفعاله وأكسابه. فالفاعل الحقيقي هو الله تعالى، يقول إمام الحرمين الجويني: "اتفق أهل الملل على ذم القدرية ولعنهم (الإرشاد إلى قواطع الأدلة بتحقيق أسعد تميم بيروت مؤسسة الكتب الثقافية ص٢٢٤)؛ والجهمية أصحاب جهم بين صفوان وهو من الجبرية الخالصة زاد على ذلك نفى صفات البارى، وزعم أنه لا يجوز أن يوصف الله تعالى بوصف يُوصَف به خلقُهُ. لأن ذلك يقتضي تشبيهاً، وأنكر جهم الاستطاعات كلها وقال بفعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى، وإنما تنسب الأفعال للمخلوقين وزعم بأن الجنة والنار تبيدان وتفنيان، وأن الإيمان هو مجرد المعرفة بالله تعالى فقط، وأن الكفر هو الجهل به تعالى فقط. وبالتالى فلا مجال للأعمال ولا للحساب والثواب والعقاب، بل الأمر على الإباحة. وزعم كذلك بأن علم الله حادث. واتفق مع القدرية في القول بحدوث كلام الله تعالى وغير ذلك من الكفريات والتُّرهات. (البغدادي- الفرق بين الفرق ص ١٩٩، والشهرستاني- الملل و النحل ١/ ١٢٦٠-١٢٨)؛ وفي باب الاحتجاج في تكفير الجهمية يقول الإمام عبد

الأَفْعَالِ، وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَها وبينَ أَفْعَالِ الجمادات، وكلاهما أعورٌ لا بَصير[٢١٣] بإحدى عينيه؛ أما القَدَرِيَّةُ فَبِالعَيْنِ اليُمْنَى، أي النَّظَرِ الأقوى الذي به يُدْرَكُ الحَقَائقُ، وأمَّا الجَبْرِيةُ فَباليُسْرَى، أي النظرُ الأضعف الذي يُدْرَكُ به[٢١٤] الظواهرُ؛ وأمَّا مَن نَظَرَ حَقَّ النظرِ فَأَصابَ بقَلْبِه[٢١٥] ذُو عَيْنَيْن: يُبْصِرُ الحَقَّ باليُمْنى، فيُضيفُ الأفعالَ إليهِ خَيْرَها وشَرَّها، ويُبْصِرُ الخَلْقَ باليُسْرى فَيُثْبِتُ تأثيرَهُم في الأفعالِ بهِ سبحانهُ، لا بالاسْتِقْلال؛ ويتحقق معنى قولِ الصادقِ عليه السلام: "لا جَبْرَ ولا تفويض بلْ أَمْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْن"[٢١٦] فيتمذهب به، وذلك هو الفضل

الله بن مسلم بن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ) "ما الجهمية عندنا من أهل القبلة، وما نكفرهم إلا بكتاب مسطور، وأثر مأثور، وكفر مشهور"، وقرن ابن قتيبة بينهم في موقفهم من القرآن الكريم وبين أئمة كفار مكة" (انظر كتاب الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة. ضمن عقائد السلف. تحقيق النشار والطالبي. مكتبة الإسكندرية ١٩٧١م- ص ٢٤٦ وما بعدها، وانظر أيضاً الإمام الرازي- الأربعين في أصول الدين. القاهرة مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٨٦ ص ١٦٥ -٢٤٧)

(٢١٣) خ ب، خ م: لا يبصر

(٢١٤) خ م: الذي به يدرك

(٢١٥) خ ب، خ م: فقلبه

(٢١٦) قول مأثور للإمام علي كرم الله وجهه، وتمامه كما جاء في كنز العمال للمتقي الهندي عن محمد بن إدريس الشافعي عن يحيى بن سليم عن جعفر ابن محمد عن أبيه عبد الله بن جعفر عن علي بن أبي طالب أنه خطب الناس يوما فقال في خطبته وأعجب ما في الإنسان قلبه وله مواد من الحكمة وأضداد من خلافها فإن سنح له الرجاء أوله الطمع، وإن هاج به الطمع أهلكه الحرص وإن ملكه اليأس قتله الأسف وإن عرض له الغضب اشتد به الغيظ، وإن أسعد بالرضا نسي التحفظ وإن ناله الخوف شغله الحزن وإن أصابته مصيبة قصمه الجزع وإن أفاد مالا أطغاه الغنى وإن عضته فاقة شغله البلاء وإن جهده الجوع قعد به الضعف فكل تقصير به مضر وكل إفراط له مفسد. قال: فقام إليه رجل ممن كان شهد معه الجمل فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن القدر فقال: بحر عميق فلا تلجه قال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن القدر قال: سر الله فلا تتكلفه قال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن القدر قال: أما إذ أبيت، فإنه أمر بين أمرين لا جبر ولا تفويض قال: يا أمير المؤمنين إن فلانا يقول بالاستطاعة وهو حاضرك فقال: علي به فأقاموه فلما رآه سل سيفه قدر أربع أصابع فقال الاستطاعة تملكها مع الله أو من دون الله وإياك أن تقول أحدهما فترتد فأضرب عنقك قال: فما أقول يا أمير المؤمنين؟ قال: قل أملكها بالله الذي إن شاء ملكنيها. [جـ ١- كتاب الإيمان والإسلام من قسم الأفعال، الفصل السابع في الإيمان بالقدر. وجدت الكلمات في الحديث رقم: ١٥٦٧]

الكبير؛ وأمَّا مَنْ أضَاف الأفعَال إلى الله تعالى بِنَظر التَّوْحيد وإسْقَاط الإضَافَات، ومَحْوِ الأسبابِ والْمُسبَّبات، لا بِمعنى خَلقِ الأفعالِ فِينَا، أو خَلْقِ قُدرةٍ وإرادةٍ جَديدَتَيْن عند صدورِ الفِعلِ عَنَّا[٢١٧]، كَمَا عليه الْمُجْبِرة، فهو الذي طَوَى بساط الكونِ، وخَلُص عن مضيق البَوْن[٢١٨]، وخَرَجَ عن البَيْنِ والأَيْنِ[٢١٩]، وفَنِيَ في العين، لكنه بَقي في الْمَحْو، ولَم يَفِ[٢٢٠] إلى الصَّحْو مُستغرقاً في عين الْجمع محجوباً بالْحَقّ عن الْخَلْق، مَا زَاغَ بصرُه[٢٢١] عن مُشاهدةِ جَمَاله، ولاَ طَغى نفسُه[٢٢٢] بانتحال كماله، بل عَاد[٢٢٣] بنُورِ جَمَالِه، عن ظِلّ جلاَلِه، وسُبُحَات[٢٢٤] وَجْهِه وذَاتِه[٢٢٥]؛ عن ظُلْمة صِفَاته، فاضْمَحَلَّتْ الْكَثْرَةُ في شُهُودِه، واحْتَجَبَتْ عنْ وُجُودِه[٢٢٦]، وذَلك هو الفَوز الأعظَم[٢٢٧]؛ فإذَا رجَع إلى الصَّحْو، بعدَ الْمَحْو، ونَظر إلى التَّفْصِيل في عَيْنِ الْجَمع: لا يَحتَجِب[٢٢٨]

---

(٢١٧) خ ب، خ م: الفعل كما عليه

(٢١٨) البَوْن: المسافة بين الشيئين

(٢١٩) الأين: نسبة الشيء إلى مكانة كقولنا أين محمد؟ هو في البيت. (الخوارزمي الحدود الفلسفية- ضمن (المصطلح الفلسفي ص ٢١٨)؛ والبين في لغة العرب يطلق على الهجر والفُرْقة وعلى الوصل. ويكون البين اسما وظرفاً متمكناً. (لسان العرب ٣ /٦٢ - ٦٣)

(٢٢٠) خ ب: ولم يفن. خ م: ولم يفق

(٢٢١) خ م: البصيرة

(٢٢٢) خ ب، خ م: ولا طغى في نفسه

(٢٢٣) خ ب، خ م: بل عاد

(٢٢٤) خ ب، خ م: وبسبحات

(٢٢٥) خ ب: [وذاته] ساقطة

(٢٢٦) خ ب، خ م: واحتجب التفصيل عن وجوده

(٢٢٧) خ ب، خ م: الفوز العظيم

(٢٢٨) خ ب، خ م: غير محتجب

بِرُؤْيَةِ الْحَقِّ عن الْخَلْقِ، ولا بالْخَلْقِ عن الْحَقِّ، ولاَ [هو] مُشْتَغِلٌ[٢٢٩] بِوُجُود الصِّفَاتِ عن الذَّات، ولاَ بالذَّاتِ عن الصِّفَات، ولا مَحْرُومٌ بِشُهُودِ الْجَمَالِ عن الْجَلالِ، ولا بالْجَلاَلِ عن الْجَمالِ. فَهُوَ الْمُحقِّقُ[٢٣٠] الصِّدِّيقُ، صاحِبُ التَّمْكِينِ والتَّحْقِيقِ، يَنْسِبُ الأَفْعالَ إلى اللهِ تَعالى[٢٣١] بالإيجاد، ولا يَسْلُبُها بالكُلِّيَّةِ عن العِبَاد، كَمَا في قولِــهِ تَعالَى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾[٢٣٢]، وذلك هو الفوز الكبير[٢٣٣].

---

(٢٢٩) خ ب: والشغل بوجود الصفات، خ م: ولا مشتغل بوجود الصفات

(٢٣٠) خ ب، خ م: فهو الولي المحق الصديق

(٢٣١) خ ب: [تعالى] ساقطة

(٢٣٢) الأنفال: ١٧

(٢٣٣) خ ب: الفوز الأكبر

الفصل الثامن

في بيان فائدة التكليف بالطاعات، والدعوة بالآيات، وتأثير السعي والجهد[٢٣٤]، وتوجيه الوعيد والوعد، وبيان الابتلاء من الله تعالى

قد ظهر في الفصل السابق بيانُ كيفية صُدُورِ الأفعالِ الاختياريّة منّا وارتفع الاشتباهُ عن حالِها، وترتُّبُ المدحِ والذمِّ والثوابِ والعقابِ عليها. وبقي الآن علينا بيانُ فائدةِ التكليفِ والتأديبِ، وتأثيرِ السّعيِ والجدّ[٢٣٥]. والتهديد والترغيب. فنقولُ كما تفطّنْتَ أنّ الأشياءَ الداخلةَ في وُجُودِ الإنسانِ كالعلم. والقُدرةِ. والإرادةِ، من جُملةِ أسبابِ الفعلِ؛ فاحْدس[٢٣٦] أنّ هذهِ الأمورَ الخارجةَ أيضاً مِنْ جُملتِها؛ فالدّعوةُ والتّكليفُ، والإرشادُ والتّهذيبُ. والوعدُ والتّرغيبُ. والإبعادُ والتّهديدُ، أُمورٌ جعلَها الله مُهيّجاتِ الأشواقِ[٢٣٧]. ودواعيَ إلى خيراتٍ وطاعاتٍ. واكتسابِ كمالاتٍ[٢٣٨]، ومُحرِّضاتٍ على أعمالٍ حسنةٍ. وعاداتٍ محمودةٍ، وأخلاقٍ جميلةٍ وملكاتٍ فاضلةٍ مَرضيّةٍ، مُقدَّرةٍ نافعةٍ في مَعاشِنا ومَعادِنا. يحسُنُ بها حالُنا في دُنيانا[٢٣٩]، ويَحصُلُ بها سعادةُ عُقبانا؛ أو مُحذِّراتٍ عنْ أضدادِها من الشُّرورِ والقبائحِ والذُّنوبِ والرّذائلِ ممّا يَضرُّنا في

---

(٢٣٤) خ ب: في الجهد والتهديد والترغيب

(٢٣٥) خ م: السعي والجهد

(٢٣٦) احدس: تحزر أو خمن

(٢٣٧) خ ب. خ م. مهيجات لأشواق

(٢٣٨) خ ب. خ م: واكتساب فضائل وكمالات

(٢٣٩) خ ب: حالتنا في ديننا ودنيانا

الْعَاجِلِ، ونَشْقَى بِهَا فِي الآجِلِ؛ وكَذَا السَّعْيُ(٢٤٠) والْجَدُّ والتَّدْبِيرُ والْحَذَرُ إذْ(٢٤١) قُدِّرَتْ مُهَيِّئَةً بِمَطَالِبِنَا(٢٤٢)، مُوَصِّلَةً إِيَّانَا إِلَى مَقَاصِدِنَا، مُخْرِجَةً لِكَمَالاتِنَا إِلَى الفِعْلِ، وجُعِلَتْ أَسْبَابًا لِمَا يَصِلُ إِلَيْنَا مِنْ أَرْزَاقِنَا، ومَا قُدِّرَ لَنَا مِن مَعَائِشِنَا، أو هُيِّئَ لَنَا فِي آخِرَتِنَا(٢٤٣)، أو لِمَا يَصْرِفُه اللهُ تَعَالَى عَنَّا مِن الْمَكَارِهِ، ويَدْفَعُهُ عَنَّا مِن الْمَضَارِ والْمَفَاسِدِ، لَمْ يَحْصُلْ ذَلِكَ لَنَا إِلاَّ بِهَا؛ وكَانَتْ تِلْكَ الوَسَائِطُ أَيضاً مُقَدَّرَةً لَنَا، وَاجِبَةً بِاخْتِيَارِنَا، كما قال ﷺ لِمَنْ سَأَلَه هلْ يُغْنِي الدَّوَاءُ والرُّقْيَةُ مِنْ قَدَرِ اللهِ "الدواء(٢٤٤) والرقية(٢٤٥) من قدر الله"(٢٤٦)؛ وكما قال ﷺ: "جَفَّ القَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ"، قِيلَ: فَفِيمَ العمل؟ قال: "اعملوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِما خلق له"(٢٤٧)؛ ولما سُئِلَ ونَحنُ(٢٤٨) فِي أَمْرٍ فُرِغَ مِنْه أو أَمْرٍ(٢٤٩) مُسْتَأْنَفٍ؟ قال: "فِي أمرٍ فُرِغَ مِنْه وفِي أَمْرٍ مُسْتَأْنَفٍ"(٢٥٠).

---

(٢٤٠) خ ب، خ م: وكذلك السعي

(٢٤١) خ ب: إذا قدرت، خ م: وإذا قدرت

(٢٤٢) خ ب، خ م: لمطالبنا

(٢٤٣) خ ب، خ م: في آخرتنا

(٢٤٤) خ م: من قدر الله تعالى قال: الدواء .....

(٢٤٥) خ ب، خ م: والرقية أيضاً من قدر الله

(٢٤٦) الحديث: رواه الترمذي عن أبي خزامة عن أبيه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله. أرأيت رقى نسترقيها ودواء نتداوى به وتقاة نتقيها. هل ترد من قدر الله شيئاً؟ قال: (هي من قدر الله) قال: حديث حسن.

(٢٤٧) الحديث روي في الصحاح بألفاظ وطرق متعددة؛ فرواه البخاري في تفسير سورة ٩٢ باب ٣، ٤، ٥، ٧ والأدب باب ١٢٠؛ والقدر باب ٤؛ والتوحيد باب ٥٤؛ ورواه مسلم في القدر حديث ٦، ٧، ٨؛ وأبو داود في السنة باب ١٦؛ والترمذي في القدر باب ٣؛ وابن ماجه في المقدمة باب ٢١. والتجارات باب ٦. وأحمد في المسند (٦/١، ٢٩، ٨٢، ١٢٩، ١١٣، ١٤٠، ١٥٧؛ ٥٢/٢؛ ٧٧؛ ٢٩٣/٣؛ ٦٧/٤، ٤٣١).

(٢٤٨) خ ب، خ م: ولما سئل أنحن

ومِنْ هَذا، عُلِمَ أنَّ كُلَّ مَا يَصْدُرُ عَنَّا مِن الحَرَكَاتِ والسَّكَنَاتِ، والحَسَنَاتِ والسَّيِّئَاتِ، مَحْفُوظَةٌ، مَكْتُوبَةٌ عَلَيْنا، واجِبَةٌ[251] صُدُورها عنَّا، مع كَونِها باخْتِيارنـــا، كما قال تعالــى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ، وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾[252]، وقال: ﴿...وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[253] وكذا: ﴿...هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[254]، فهي لِسَعَادَتِنَا وشَقَاوَتِنَا في العُقْبَى لَيْسَت بمُوجِبَات: وكَذلِكَ ما يَصِلُ إلَيْنَا مِنَ الرَّغَائِبِ والمَكَارِهِ، كما قالَ ﷺ: "إنَّ الأمةَ لَو اجْتَمَعت عَلَى أن ينفعوكَ بشيْءٍ لن ينفعوكَ إلا بشيءٍ قد كَتَبَهُ اللهُ عَلَيكَ. ولو اجتمعت عَلَى أن يضرّوكَ بشيءٍ لن يضروكَ إلا بشيءٍ قد كَتَبَهُ اللهُ عليكَ. رُفِعَت الأَقْلامُ وَجَفَّت الصُّحُفُ"[255].

وقال أمير المؤمنين[256]: "اعْلَمُوا عِلْمًا يَقِينًا أنَّ اللهَ لَمْ يَجْعَل للعبدِ وإنْ عَظُمَتْ حِيلَتُه، واشْتَدَّتْ طِلْبَتُه، وقَوِيَتْ مَكِيدَتُه[257]، أكثرَ مِمَّا سمّى له في

---

(٢٤٩) خ م: أم أمر

(٢٥٠) خ م: في أمر فرغ منه لا في أمر مستأنف. خ ب: في أمر فرغ منه وفي أمر مستأنف

(٢٥١) خ ب: واجب

(٢٥٢) القمر: ٥٢-٥٣

(٢٥٣) يس: ١٢

(٢٥٤) الجاثية: ٢٩

(٢٥٥) الحديث رواه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي ﷺ يوما فقال: يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف" وقال حديث حسن صحيح.

(٢٥٦) خ ب، خ م: أمير المؤمنين عليه السلام (وهو علي بن أبي طالب- كرم الله وجهه)، نهج البلاغة [illegible]

(٢٥٧) خ ب: حيلته وقويت مكيدته واشتدت طلبته. خ م: حيلته

الذِّكْرِ الْحَكِيمِ، ولَمْ يُحِلْ بَيْنَ العَبْدِ فِي ضَعْفِهِ وقِلَّةِ حِيلَتِهِ، وبَيْنَ أَنْ يَبْلُغَ مَا سَمَّى[٢٥٨] لَهُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ": والشواهدُ في هذا الباب أكثر من أن تحصى.

وأَمَّا الابْتِلاءِ فهُوَ إِظْهَارُ مَا كُتِبَ لَنَا وعَلَيْنَا[٢٥٩] فِي الْقَدَرِ، وإِبْرَازُ مَا أُودِعَ فِينَا، وغُرِزَ فِي طِبَاعِنَا بالقُوَّةِ لِمَا يُظْهِرُهُ[٢٦٠] فِي الشَّاهِدِ، ويُخْرِجُهُ إِلى الفِعْلِ مِنَ الوقَائِعِ والْحَوَادِثِ والتَّكَالِيفِ الشَّاقَّةِ، بحَيْثُ يَتَرَتَّبُ عليهِ الثَّوابُ والعِقابُ، فإنَّها[٢٦١] ثَمَرَاتٌ ولوازِمُ وتَبَعَاتٌ وعوارِضُ لأُمُورٍ مَوْجودةٍ فينا، فإذا لَمْ تَصْدُرْ عَنَّا، ولَمْ تَخْرُجْ إِلى الفِعْلِ، لَمْ تُوجَد بَعْدُ؛ وإنْ كَانت معلومةً لله تعالى[٢٦٢]، مَوْجُودةً فِينَا بِالقُوَّةِ، فكيفَ يَحْصُلُ ثَمراتُها وتبعاتُها التي هي عَوارِضُها[٢٦٣]!

ولهذا قال - تعالى- : ﴿...وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾[٢٦٤] وأمثالُها أي نَعْلَمُهُم مَوْصُوفِين بِهَذه الصفة، بحَيْثُ يَتَرَتَّبُ عَلَيها الجزاءُ؛ وأَمَّا قَبْلَ ذَلِكَ الابتلاءِ، فإنه عَلِمَهُم[٢٦٥] مُسْتَعِدِّين للمُجَاهَدَةِ والصَّبْرِ، سَائرِينَ إِليهَا[٢٦٦] بَعدَ حِين.

---

(٢٥٨) خ ب. خ م: ما كتب علينا

(٢٥٩) خ ب. خ م: بما يظهره

(٢٦٠) خ ب. خ م: فإنها

(٢٦١) خ م: [تعالى] ساقطة

(٢٦٢) خ ب. خ م: التي هي عوارضها ولوازمها

(٢٦٣) خ م: فإنه تعالى علمهم

(٢٦٤) [محمد: ٣١]

(٢٦٥) خ ب. خ م: فإنه تعالى علمهم سائرين

(٢٦٦) خ ب: إليهما

الفصل التاسع

في بيان الاستعدادات وتنوعها

ولعلّك تَضطربُ فَتصولُ، وتتحرد[٢٦٧] فتقول: إذا كانت الفضائلُ والرذائلُ والمحاسنُ والقبائحُ والطاعاتُ والمعاصي، وبالجملة الخيراتُ والشرورُ كلُّها مقدرةً مكتوبةً علينا، فهل صُدورُها[٢٦٨] منّا معجُونةٌ فيناَ مَربوطةٌ بأوقاتها التي تصدرُ فيها عنّاَ، فما بالُنا لا نَتساوَى فيها ولا نَتعادل ولِمَ لا نَتشاكل فيها ونَتماثل؟ وكيف نَحترزُ عمّا يَجب الاحْترازُ عنه، فننْجو من وَبَالِها وتبعتها؟ وَبِأيّ شَيءٍ يَتفضَّل السَّعيدُ على الشَّقي، وقد تساويا فيما قُدِّرَ لَهُمَا؟ وأين عَدْلُ اللهِ فِيناَ، وقد قال تعالى[٢٦٩]: ﴿...وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ ﴿...وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾[٢٧٠]؛ فنُجيبُك بمِثْلِ ما قال الشاعرُ:

هَوِّنْ عَلَى بَصَرٍ مَا شَقَّ مَنْظَرُه . . فَإِنَّمَا يَقَظَاتُ الْعَيْنِ كَالْحُلُمِ

فَاصْبِر رُبَّما[٢٧١] آبَ إليكَ القرارُ[٢٧٢]، وفات السَّكينةَ والْوقار، فَلسْتَ أوَّلَ مَن زَلَّ فِي هذا الْمَقَام وارْتاب، واسْتَبْرَ [illegible] هَذَا الكلام، ثُمّ رَجَعَ وتاب. جَعلَ اللهُ عَيْنَ بَصيرَتِكَ كَحِيلَةً بِنُورِ الْهُدَى وكَشَفَ عَنْهَا غَشاوةَ العَمَى.

---

(٢٦٧) خ ب، خ م: وتتجرد

(٢٦٨) خ ب، خ م: قبل صدورها

(٢٦٩) خ م: وقد قال الله تعالى

(٢٧٠) الزخرف: ٧٦

(٢٧١) خ ب، خ م: ريثما

(٢٧٢) خ ب، خ م: وفاتت

اوّلاً: تَعْتَبِر بِحَالِ مُوسى مَع الْخِضْر واعْتِرَاضِه ووُقُوعِه فيه بِقَتْلِ غلامٍ وامْتِعَاضِه؛ أمَا تَتَذَكَّرُ قولَه: ﴿...لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً﴾[273]؛ وجوابه: ﴿...أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾[274]، ثُمّ اسْمع مَا يَقِيك[275] مِن غَيظِك وَيكفيك في إِزَالَة[276] رَيْبِك؛ وَاعْلَم أنّ الاسْتِعْدَادَات مُتَفَنّنَة، والْحقَائق مُتَنَوِّعَة؛ والأرْوَاح[277] [الإنسيّة بِحَسَب الفطرة الأُولَى مُخْتَلفَةٌ فِي الصَّفَاء والكُدُورَة، والضّعْف والقُوّة، مُتَرَتّبَةٌ فِي درجات القُرْبِ والبُعْد مِن الله تَعَالى، والْمَوادّ السُّفْلِيَّة بإزآئها بِحَسَب الْخلْقَة مُتباعدةٌ فِي الطّاقة والكَثَافة، ومِزَاجَاتُها مُتبايِنةٌ في القُربِ والبُعْدِ من الاعْتِدالِ الْحَقِيقِيّ؛ فَقَابِلِيَّتُهَا لِمَا يَتعلّق بِهَا مِن الأرْوَاحِ مُتَفَاوِتَةٌ، وقد قُدِّر بِإزَآءِ كلّ رُوحٍ مَا يُنَاسِبهُ مِن الْمَوَادّ، فَحَصل من مَجْمُوعِهما[278] استعدَادٌ مناسبٌ لبعض العلومِ والإدراك دُون الْبَعْض[279]، مُوافقٌ لبعضِ الأعمال والصّناعَاتِ دونَ بَعْض، عَلَى مَا قُدِّرَ لَهَا من العِنَاية[280] الأُولَى والقَضاءِ السَّابق كما قال ﷺ: "الناسُ مَعادن كَمعَادِنِ الذّهب والفِضّة"[281]، وتتفاوت العقول

---

(٢٧٣) الكهف: ٧١

(٢٧٤) الكهف: ٧٥

(٢٧٥) خ ب، خ م: ثم اسمع ما يشفيك

(٢٧٦) خ م: من إزالة

(٢٧٧) خ ب، خ م: فالأرواح

(٢٧٨) خ ب: من مجموعها

(٢٧٩) خ ب: دون بعض

(٢٨٠) خ ب: لها في العناية

(٢٨١) الحديث بتمامه في صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب رقم ٤٧٧٤: حدثني زهير بن حرب حدثنا كثير بن هشام حدثنا جعفر بن برقان حدثنا يزيد بن الأصم عن أبي هريرة بحديث يرفعه قال: "الناس معادنٌ كمعادن الفضة والذهب خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فَقُهُوا، والأرواح جنود مُجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها

والإدراكات بِحسب[٢٨٢] اختلاف الطبائع والغرائز فشرع بعضهم إلى[٢٨٣] ما يَنفرُ عنه الآخر، ويَستَحسِنُ أحدُهم بِهَواهُ ما يَستَقْبِحُه الثّاني؛ والعناية الإلٰهِيّةَ تَقْتَضِي نظامَ الوُجُودِ عَلَى أَحْسَنِ ما يُمْكِن؛ فلَوْ أمكن أحْسَنَ مِمَّا هُو عَلَيْه لَوُجِدَ. ولَوْ تَساوَت الاستِعْدَادَاتُ لَفَاتَ الْحُسْنُ فِي تَرتِيب النّظام، وارتَفع الصَّلاحُ عَن العَالَمِ، ولَبَقَوْا كُلُّهُم طبقةً واحدةً علَى حالة واحدة في مرتبة واحدة لاَ يَتَمَشَّى أُمورُهم ولاَ يَتهيّأ مصالِحُهم ولَبَقِيَتْ الْمَرَاتِبُ الباقيةُ الْمُمْكِنَةُ[٢٨٤] في كَتم العدَم، مع إمكان وُجُودِها، فكَان حَيْفاً عليها وجَوْرًا، لاَ عدْلاً وقسطاً، وبَقِي الاحْتِياجُ إليها فِي العَالَم مع عَدَمِها، كَمَا أَنْ لَو كان][٢٨٥] البَصَلُ زعفراناً، والدّفْلي[٢٨٦] أُقْحُوَاناً، ولَم يُوجَد البَصلُ والدّفلي أصلاً. لَحُرِمَت النّاسُ من منافِعِهما، وتَضَرَّرُوا فِي مَنَاجِحِهم لِفَقْدِهمَا[٢٨٧]، مع إمْكان وُجُودِهمَا؛ وكَمَا لاَ يَختَلِجُ فِي صَدْرِك أَنّ البَصَلَ لِمَ لَمْ يَكُن[٢٨٨] زَعْفَرَاناً، والقَيْصُومُ[٢٨٩] ضَيْمَرَاناً.

اختلف"؛ وفي مسند أحمد نحه حدثنا كثيرٌ حدثنا جعفر حدثنا يزيد بن الأصم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ وقال كثيرٌ مرةً حديثٌ رفعه قال: "الناس معادن كمعادن الفضة والذهب خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا والأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف" مسند أحمد. باقي مسند المكثرين رقم ٣٣د١٠.

(٢٨٢) خ ب: والإدراكات والأشواق والإرادات بحسب

(٢٨٣) خ ب: بعضهم بطبعه إلى

(٢٨٤) خ ب: الباقية الممكنة في كتم

(٢٨٥) ما بين القوسين [ ] ساقط من خ م

(٢٨٦) الدفلي: شجر مُر أخضر حسن المنظر، يكون في الأودية وهي من السموم. ونور الدفلي مُشربٌ. ولا يأكله أحد

(٢٨٧) خ ب، خ م: بفقدهما

(٢٨٨) خ ب، خ م: أن البصل لو لم يكن

(٢٨٩) خ م: والقيسوم. والقيصوم هو ما طال من العشب. وهو من نبات السهل. وهو نباتٌ طيّب الرائحة. من رياحين البرّ وورقه هدب. وله نورة صفراء، تطول على ساق. والضَّيْمران ويقال الضومران: نوع من الشجر البري يقال أنه طيب الرائحة. (لسان العرب ١٢/٤٨٦، ٤/٤٩٣)

والكلبُ أسَداً، والعَنْزُ جملاً، والْجَمَادُ حَيَواناً، والْحَيوانُ إنساناً، والقَذى(٢٩٠) عَيْناً، والوَهْمُ عقلاً؛ فلا يَعْرِضَنَّ في بَالِك أنّ البَاقِل لماذا لَم يكن سحباناً(٢٩١)، والفَقير سُلطاناً، والشَّقِيّ سَعيداً، والجاهلُ الشّرير(٢٩٢) عالماً خَيِّراً نحْريراً، إذْ لَو كَان كَذلكَ لاضْطَرّ السُّلطانُ إلَى صَنيعة(٢٩٣) الكَنْس، والْحَكيمُ الْمُتَألّهُ إلَى مُباشَرةِ الْوحْشِ(٢٩٤)(٢٩٥)، فَمَا بَقِي التَّناسُبُ على تَقْديرِ التَماثُلِ، ولَم يَبْقَ السُّلطانُ سُلْطاناً ولاَ القَهْرَمانُ قَهرمَاناً(٢٩٦)، واختَلّ النّظام(٢٩٧)، وظهر الْهَرْجُ والْمَرْجُ، فَلَم يَكن ذَلك عَدْلاً، بل كَان ذَلك(٢٩٨) جَوْراً وظُلما؛ فالعَدْل هُو تَسْوِيةُ الْمَوادّ والأشْباحِ بِحَسَبِ الصُّوَرِ والأرواحِ، وتَعْديلُ الأمْزِجَة بِحَسَب الأنْوَاعِ، وتَوْزيعُها عَلَى الأصْنافِ والأشخَاص، وتَوْجيهُ الأفْرادِ من الأجْناسِ إلَى

---

(٢٩٠) خ ب. خ م: والقذي عيناً

(٢٩١) الباقل: اسم رجل من ربيعة، كان يُضْرب به المثل في العيّ والفكاهة أي البلادة. كان العرب يقولون في أمثالهم، إنه لا عيًا من باقل، وإياه عنى الأرَيْقِط في تشبيه رجل ملأ بطنه بالطعام حتى غيي بالكلام فقال له يهجوه:

أتانا وما داناه سحبان وائل .. بيانا وعلما بالذى هو قائلْ

تُذبِّل كفّاه ويحــدُر حلْقُه .. إلى البطن ما ضمَّت عليه الأناملُ

فما زال عند اللقم حتى كأنه .. من العيِّ لمّا أن تكلّم باقل

وسحبان رجل من بني ربيعة أيضاً، وكان يُعرَف بالبلاغة واللّسَن. قال الليث: بلغ من عي باقل أن اشترى ظبياً بأحد عشر درهماً، فقيل له: بكم اشتريت الظبي؟ فنتح كفّيه، وفرّق أصابعه، وأخرج لسانه. يشير بذلك إلى أحد عشر، فانفلت الظبي. وذهب فضربوا به المثل في العي. (لسان العرب ١١/٦٢)

(٢٩٢) خ م: أو الجاهل، خ م: عالماً نحريراً سقوط [خيّرا]

(٢٩٣) خ ب، خ م: صنعة

(٢٩٤) خ ب، خ م: الرجس

(٢٩٥) مباشرة الوحش: العناية بالحيوان

(٢٩٦) القهرمان: المسئول عن تصريف الأمور، وتدبير الشئون

(٢٩٧) خ ب، خ م: ولاختل

(٢٩٨) خ ب، خ م: [كان] ساقطة

مَا يُناسِبُها مِن الأُمُورِ والأشْغَال، فمَنْ أساءَ فِي عَمَلِه وأخطأَ في اعْتِقادِه. فإنَّمَا ظَلَمَ نَفْسَهُ بظُلْمَةِ جَوْهَرِه وقُصُورِ اسْتِعْدادِه، وكَان أهْلاً للشَّقاوةِ فِي مَعَادِه. يُنادى على لسان المالك "مَهْلاً فَيدَاكَ أوكَتَا، وفُوكَ نَفَخ[(٢٩٩)]"[(٣٠٠)]، وإنَّما قَصر اسْتِعدَادُه، وأظْلَم جَوهَرُه لعدمِ إمكانِ كَوْنه أحْسَنَ مِمَّا وُجِد، كما لاَ يُمْكِن أنْ يلدَ القِردُ مثلاً إنْساناً فِي أحْسَنِ صُورةٍ وأكْمَلِ سيرَة: ﴿...ولا يَزَالُونَ مُخْتَلفِينَ. إلا مَن رَّحِمَ ربُّكَ ولِذَلكَ خَلَقَهُمْ وتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ والنَّاسِ أجْمَعِينَ﴾[(٣٠١)]، وكَمَا لا يُعْرَضُ[(٣٠٢)] علَى أقْبَحِ النَّاس أنَّه لاَ يَكُونُ مِثْلَ يُوسف عليه السلام فِي الحُسْنِ، ويَعْذُرُهُم مَع اخْتِلافِ أشْكَالِهِم وهَيْئاتِهِم بحَيْثُ لاَ يَتَشابَه اثْنانِ مِنْهُم، فكَذلك لا يُعْرَضُ[(٣٠٣)] على شَرِّ النَّاسِ أنَّه لَمْ لاَ يَكُونُ مِثْلَ[(٣٠٤)] مُحَمَّدٍ رسُولِ الله ﷺ[(٣٠٥)] فِي سِيرَته وطَرِيقَته واعْذرْهُم فِي ذَلك، فَإنَّ اخْتِلافَ الغَرَائِزِ والشَّمَائِل كاختلاف الأشكال والطبائع [كما قال ﷺ: "فَرَغَ اللهُ[(٣٠٦)] مِنْ

---

(٢٩٩) خ م : [الواو] ساقطة

(٣٠٠) "يداكَ أوكَتا وفوك نفخ" مثلٌ عربي قديم. قال المفضل أصله أن رجلا كان في جزيرة من جزائر البحر. فأراد أن يعبر على زقٍّ نفخ فيه، فلم يُحسن إحكامه، حتى إذا توسط البحر خرجت منه الريح فغرق. فلما غشيه الموت استغاث برجل، فقال له: "يداك أوكتا، وفوك نفخ" فصارت مثلا يُضرب لمن يجني على نفسه الحين (الهلاك) (الميداني- أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري(ت ٥١٨) - مجمع الأمثال - تحقيق نعيم حسين زرزور- بيروت- الكتب العلمية- ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م - ٤٩١/٢)

(٣٠١) هود: ١١٨- ١١٩

(٣٠٢) خ ب، خ م: وكما لا تعترض

(٣٠٣) خ ب، خ م: لا تعترض

(٣٠٤) خ ب: بأنه لا يكون كمحمد، خ م: بأنه لم لا يكون كمحمد

(٣٠٥) خ ب، خ م. كمحمد عليه السلام

(٣٠٦) خ م: فرغ الله تعالى عن

أَرْبَع[٣٠٧]، مِن الْخَلقِ والْخُلق والرِّزْق والأَجَل"][٣٠٨]، وأَمَّا أَنَّه كَيفَ السَّبِيلُ إِلى الاحْتِرَازِ عَمَّا يَجِبُ الاحْتِرَازُ عَنْهُ، فَإِنَّ شَرِيفَ النَّفْسِ نَجِيبَ الْجَوْهَر[٣٠٩] طَيِّبَ الأَصْلِ طَيِّعَ القريحة قَلَّما يَهُمُّ بِشَيْءٍ مِمَّا لَيْس فِي فِطرته، ولَمْ يُقَدَّرْ لَهُ مِن[٣١٠] الفَوَاحِشِ والرَّذائلِ لِعَدَمِ الْمُنَاسبةِ، وَإِذا هَمَّ نَادِراً لِغَلَبَة صِفَةٍ مِن صِفات نَفْسه وقواه[٣١١]، واستيلاءِ دَاعيةٍ[٣١٢] مِن دَواعِي الوَهْم وهَوَاه[٣١٣]، وهَيَجَان مِن شَهْوَتِه وغَضَبِه، زَجَرَهُ زاجر[٣١٤] مِن عقلِه وهَواه[٣١٥]، [ومَنَعَه[٣١٦] مَانِعٌ مِن رُوحِه القُدْسِيِّ ونَهَاه[٣١٧]]، كمَا قال تعالى في يُوسُفَ ﷺ: ﴿...ولَقَد[٣١٨] هَمَّتْ بِهِ وهَمَّ بِهَا لَوْلا أن رأَى بُرْهَانَ رَبِّه﴾[٣١٩]؛ وإِنْ كَانَ دُونَ ذَلِك فِي صَفَاءِ الاسْتِعْدَاد فلاَ يُزْجَر[٣٢٠] إلا بِزَجْرِ زَاجِرٍ مِنَ الشَّرْعِ والسِّيَاسَة والناصح، والأدب، وغير

---

(٣٠٧) خ م: أربعة أشياء من

(٣٠٨) ما بين القوسين ساقط من خ ب

(٣٠٩) خ م: نقي

(٣١٠) خ م: ولم يكتب عليه من

(٣١١) خ م: وهواه

(٣١٢) خ ب: دواعيه

(٣١٣) خ م: وقواه

(٣١٤) خ ب: [زاجر] ساقطة

(٣١٥) خ ب، خ م. ودداه

(٣١٦) ما بين القوسين ساقط من خ ب

(٣١٧) خ م: من روح القدس

(٣١٨) ط ف: [الواو] ساقطة

(٣١٩) يوسف: ٢٤

(٣٢٠) خ ب، خ م: فلا ينزجر

ذلك، ويستحق(٣٢١) منه؛ وإذا هَمَّ بِشيءٍ مِمّا فِي فِطْرَتِهِ مِنَ الْمَحَاسِنِ، وَجدَ بَاعِثاً مِنْ عقْلِه ودِرَايَتِه، ونَاصِراً مِن تَوْفيقه وهدايته، فَيُقْدِمُ عَليه بشَوْقه وشَغَفه، لِمُنَاسَبَتِه إِيَّاه، ولا(٣٢٢) يَنْتَهي عنه بِدَفْعِ دَافِعٍ، ولاَ مَنْع(٣٢٣) مَانِعٍ؛ وإِنْ كانَ دُونَ ذَلك، احتاج إِلَى مُحَرِّضٍ بَاعثٍ ومُشَوِّقٍ مِن خَارِجٍ، والْخَسِيس النَّفْسِ، الْخَبيثُ الْجَوهَرِ، الرَّدِيُّ الأَصل، الأَبِيُّ القَرُونَة(٣٢٤) بالعكس، [(٣٢٥)كما قال تعالى في أبي جهلٍ وأضرابه: ﴿...سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُون﴾(٣٢٦)، وفيه: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾](٣٢٧)، وكُلٌّ يَشْتَاقُ إِلَى مَا يَفْعَلُهُ بالطَّبْعِ(٣٢٨) ويُحبُّه ويَسْتَحْسِن؛ وإِن كَانَ(٣٢٩) يَعْلَمُ أَنَّ ضِدَّهُ أَجْوَدَ وأَحْسَنَ، كَمَحَبَّة الزِّنْجِيِّ ولَدَه مَعَ قُبْحِه دُونَ الغلامِ التُّركي مَع عِلمِه بحُسْنِه؛ وأَمَّا حَديثُ السَّعادَة والشَّقَاوة فَسَيَأْتي فِي فَصْلٍ إِنْ شَاءَ الله(٣٣٠).

---

(٣٢١) خ ب: ويستحي منه

(٣٢٢) خ ب، خ م: [الواو] ساقطة

(٣٢٣) خ ب، خ م: ولا يمنعه منع مانع

(٣٢٤) القَرُونة، ويقال القرون والقرينة والقرين. وكلا يعني النفس. يقال أسمحت قَرُونه وقرينه وقرونته وقرينته. أي ذَلّت نفسُه، وتابعَتْه على الأمر، ويقال للزوجة قرينة الرجل لمقارنته بها. وروى ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان إذا أتى يوم الجمعة قال: "يا عائشة: اليوم يوم تبعل وقِران" قيل: عنى بالمقارنة التزويج. (لسان العرب ١٣/٣٣٩)

(٣٢٥) ما بين القوسين ساقط من خ ب، خ م

(٣٢٦) البقرة: ٦

(٣٢٧) القصص: ٥٦

(٣٢٨) خ ب، خ م: بطبعه

(٣٢٩) خ ب، خ م: وان كان الثاني يعلم

(٣٣٠) خ م: الله تعالى

الفصل العاشر

في السعادة والشقاوة

قَد عَلِمْتَ مِمَّا تَقَرَّر، تَنَوُّعَ الاستعدَادَات وتَرَتُّبَ الأَرْوَاحِ فِي الدَّرجات، فاعلَم أنَّ لِكلٍّ مِنها سعادةً تَقْتَضِيها بِحَسَب هَوِيَّته وقَدْرِ مِنَّته وقُرْبه[٣٣١]، هي نِهَايَةُ كَمالِه الَّذي أَمْكَنَ مُقْتَضَى[٣٣٢] فطرَتِه، ويُقَابِلُها غَايَةُ نُقصانه الَّذي يُمْكِنُ له بِحَسَبِ حَالِه، هِي شَقَاوَتُه الْمَنْسُوبَةُ إِلَيْه عِندَ وَبَاله؛ والسَّعادَاتُ مُتَرَتِّبَةٌ بِحَسَب الاسْتِعدَادَات فَأَعظَمُ السعادات[٣٣٣] مُطْلَقاً لأَجْوَدُ الاسْتِعْدَادَات، وأَشْرَفُ الكَمَالاَتِ لأَشْرَفُ الأَرْوَاحِ الذي هُو رُوحُ القُطْبِ الْحَقِيقِي الْمُطْلَق وهُو مُحَمَّدٌ ﷺ[٣٣٤] كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ورَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَات...﴾[٣٣٥] فَلَهُ الْمَرتَبَةُ الْعُلْيَا فِي الاسْتِعْدَاد والسَّعَادَةَ الكُبْرَى[٣٣٦] فِي الْمَعَاد، فكلَّما[٣٣٧] قَصُرَ الاسْتِعْدَادُ نَقُصَت السَّعادةُ وقَصُرَ العَرْضُ بَيْنَها وبَيْنَ الشَّقَاوَةِ القُصْوَى أو السَّعادة[٣٣٨] الْمَفْرُوضَة بِإِزَائِهَا، فَإِذَا[٣٣٩] تَوَسَّطَ الاسْتِعْدَادُ بَيْنَ جِهَتَي الرُّبُوبِيَّة والسَّفالةِ الْمُعَبَّرِ عَنْهما بالنُّور والظُّلْمَة،

---

(٣٣١) خ ب، خ م: وقوته

(٣٣٢) خ ب، خ م: أمكن له بمقتضى

(٣٣٣) خ م: وأعظم

(٣٣٤) خ ب، خ م: محمد ﷺ لا القطب الإضافي بحسب كل وقت وزمان كسائر الأنبياء عليهم السلام.

(٣٣٥) البقرة: ٢٥٣

(٣٣٦) خ م: والسعادة العظمى

(٣٣٧) خ ب، خ م: وكلما

(٣٣٨) خ ب، خ م: أو الشقاوة المفروضة

(٣٣٩) خ م: وإذا

وباللاهوت والنّاسوت أُخرَى، استوَى مَيْلُهُ إِلَى دَوْحَتَي الكَمَالِ والنُّقصَانِ الْمُعبَّر عَنهُمَا فِي التّنزيل بـ"أعلى عليّين"[٣٤٠] و"أسفل سافلين"[٣٤١]، وهُنَاكَ يَقوَى أَثَرُ الدّعوةِ والتّكليف والتّأديبِ والتّهذيب، وبمَا يُقابلُهَا مِن أسبَابِ الْمَعْصيَة والطّغيانِ الْمُعبَّرِ عَنهُمَا بالتّوفيقِ والْخذلاَن؛ وكُلّما أَمعَنَ الْجَانبَيْن اشتَدّ مَيلُه إليه، فإِنْ مَالَ عَنِ الوَسَط إِلَى الْجهة العُلْويَّة يَكْفيه أَضْعَفُ أسبَاب التّوفيق في تَرَقّي الدّرَجَات، ولاَ يَصْرِفُهُ إِلاَّ أَقوَى أسبَاب الْخُذلاَن إِلَى الانحطَاط فِي الدّرَكَات؛ وإِنْ مَالَ إِلَى الْجهَة السُّفليَّة فبالعَكْس؛ ولكُلّ صَفْوٍ كَدَرٌ، ولكُلّ صَفَاءٍ عَكَرٌ، ويُقَابِلُ كلَّ نُورٍ ظُلْمَةٌ، وبإِزَاءِ كلّ حُسْنٍ قُبْحٌ، وبضدّهَا تَتَبيّنُ الأشيَاءُ، كأَبِي جَهْلٍ لمُحَمَّدٍ ﷺ، وفرعون لمُوسَى عليه السلام، وإبْليس لآدمَ عليه السلام، وأمثالُهم لا سبيل إلى معرفة لميّة سعادة الأوّل، وشقاوة الثّاني إلاّ بمُجرّد الاستعداد الذّي هُو من الفَيْضِ الأَقْدسِ الأَوّليّ، والعِلْمِ الأَعْلَى الأَزَلِيّ، على مَا مَرّ مِن بَحْث الإمْكان في باب حُسْنِ النّظام.

والسّعادةُ قسمان: دُنيويّةٌ وأُخرَويّةٌ؛ والدنيويةُ قسمان: بَدَنيّةٌ كَالصّحّة والسّلامة ووُفُورِ القُوّة والشّهادة، وخارِجيّةٌ كترْتيبِ أسباب الْمَعَاشِ وحُصُول مَا يحْتاجُ إليه مِن الْمَنَال[٣٤٢]؛ والأُخْرَويّةُ قسمان[٣٤٣]: عِلْميّةٌ كالْمَعارِف والْحَقَائِقِ، وعَمَليّةٌ كالطّاعَاتِ والْخَيْرَات؛ وكَما أنّ الْحُسْنَ والْجَمَالَ مِن

---

(٣٤٠) [كلا إنّ كتاب الأبرار لفي علّيين. وما أدراك ما علّيون. كتابٌ مرقومٌ. يشهده المقرّبون](المطففين: ١٧ . ٢١)

(٣٤١) [ثمّ رددناه أسفل سافلين] (التين: ٥)

(٣٤٢) خ ب . خ م: من المنال

(٣٤٣) خ ب . خ م: والأخروية أيضا قسمان

عَوَارِضِ القِسْمِ الأَوَّلِ مِنَ الدُّنْيَوِيَّة، فالأَخْلاقُ الْجَمِيلَةُ مِن[٣٤٤] عَوَارِضِ القِسْمِ الأَوَّلِ مِنَ الأُخْرَوِيَّة، وتَتَعَدَّدُ أَقْسَامُ السَّعَادَة[٣٤٥] بإزَآئها.

قِيلَ لأَمِيرِ الْمُؤْمِنين[٣٤٦]: صف العَالِم، فَوَصَفَه. وقِيلَ: صِف الْجَاهِلَ قال: قَد فَعَلْتُ.

فالسَّعادةُ[٣٤٧] والشَّقَاوَةُ بِحَسَبِ العِلْمِ والْجَهْلِ ذَاتِيَّتَان أَزَلاً وأَبَداً، مُخَلَّدَتَانِ دَائماً سَرْمَداً، أَو بِحَسَبِ الأَعْمَالِ الْحَسَنَة والسَّيِّئَة يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِمَا الْمُكَافَأَةُ والْمُجَازَاةُ، ويَتَقَدَّرُ بِحَسَبِهِمَا الْمَثُوبَاتُ والْعُقُوبَاتُ كقولـه- تَعَالَى-: ﴿...جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعملون﴾[٣٤٨] ﴿...جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٣٤٩]؛ ولا تكونُ هذه الشَّقَاوَةُ مُخَلَّدَةً إلاّ مَا شَاءَ الله، وتُرَكَّبُ[٣٥٠] بَعْضُهَا مَع [بعض] وتَنْفَرِد، إلاّ أنَّ أَكْثَرَ السَّيِّئَات وأَكْبَرَهَا يَتبَعُ الْجَهْلَ، وأَغْلَبَ الْحَسَنَات وأَعْظَمَهَا يَتبَعُ العِلْمَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا من السُّعَدَاءِ الْمَقْبُولين، ولاَ تَجْعَلْنَا مِنَ الأَشْقِيَاءِ الْمَرْدُودِين؛ والعَقْلُ الَّذِي هُو مَدَارُ التَّكْلِيفِ فِي الكُلِّ وَاحِدٌ مَعَ تَبَاعُدِ دَرَجَاتِهِم فِي الذَّكَاءِ والْبَلادَة، وَهُوَ الْقَدْرُ الْمُشْتَرَكُ فِي العُقَلاءِ[٣٥١]، أَيْ مَا يُسَمَّى بِهِ الإِنْسَانُ عاقلاً،

---

(٣٤٤) خ ب. خ م: فالأخلاق الجميلة والفضائل

(٣٤٥) خ ب، خ م: أقسام الشقاوة

(٣٤٦) خ ب، خ م: لأمير المؤمنين عليه السلام. وما وجدناه في نهج البلاغة "وقيل له عليه السلام: صف لنا العاقل. فقال: هو الذي يضع الشيء مواضعه، [فقيل فصف لنا الجاهل، فقال): قد فعلت (يعني أن الجاهل هو الذي لا يضع الشيء مواضعه. فكأن ترك صفته صفةٌ له إذ كان بخلاف وصف العاقل)".(٤/ ٥٢)

(٣٤٧) خ ب. خ م: فقيل صف الجاهل

(٣٤٨) السجدة : ١٧

(٣٤٩) التوبة : ٨٢

(٣٥٠) خ م: والسعادة والشقاوة

(٣٥١) خ ب. خ م: ويتركب بعضها

ولِهَذَا كُلِّفُوا بتَكْلِيفٍ واحدٍ، ولَمْ يُكَلَّف كلُّ واحدٍ منَّا بدرايَةِ الفَتْوَى، واستِنْباطِ العُلُومِ شَرْعاً كما قال- تعالى-: ﴿...لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفساً إلا وسْعَهَا﴾[٣٥٢]، فإن التَّرقِّي بالعُلومِ أمرٌ وَرَاءَ التَّكْليف؛ وأمَّا بحَسَبِ الأَعْمَالِ: ﴿...ولِكُلٍّ[٣٥٣] دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا...﴾[٣٥٤] فمنْ حُجِبَ عَنْ بُلُوغِ الكَمَالِ الذي يَقْتَضِيه اسْتِعْدَادُه[٣٥٥] بنَقِيصَةٍ[٣٥٦] فيه، أو ارْتِكَابِ عَمَلٍ يُنَافيه، فَقَدْ يُعَذَّبُ بعَذَابٍ[٣٥٧] يُنَاسِبُه[٣٥٨]، وبحَسَبِ[٣٥٩] حِرْمَانِه عنه لمَسَاوِيه، وكَذَا مَنْ نُوقِشَ في الْحِسَابِ بحَسَبِ الأَعْمَالِ، والْوَاصِلُ[٣٦٠] إِلَى مَا مُكِّنَ[٣٦١] لَهُ وقُدِّرَ من السَّعَادَةِ فَهُوَ النَّاجِي، وإِنْ كَانَتْ سَعَادَتُهُ أَدْوَنَ[٣٦٢] وأَدْوَنَ ممَّا لاَ[٣٦٣] يُدْرَكُ كُنْهُهُ مِنْ سَعَادَةٍ، إذْ[٣٦٤] لاَ إِدْرَاكَ لَهُ لِمَا لاَ يُمْكِنُه فَلاَ ذَوْقَ[٣٦٥]، وإِذْ لاَ ذَوقَ

---

(٣٥٢) البقرة: ٢٨٦

(٣٥٣) خ م: المشترك بين عقول العقلاء

(٣٥٤) الأنعام: ١٣٢

(٣٥٥) خ ب، خ م: فلكل

(٣٥٦) خ ب، خ م: يقتضيه بحسب استعداده

(٣٥٧) خ ب، خ م: فقد عذب تعذيباً

(٣٥٨) خ م يساويه

(٣٥٩) خ ب، خ م: الواو ساقطة

(٣٦٠) خ ب، خ م: وأما الواصل

(٣٦١) خ ب، خ م: مما أمكن

(٣٦٢) خ م: دون وأدون

(٣٦٣) خ ب، خ م: مما لا

(٣٦٤) خ ب، خ م: سعادة آخر إذ لا

(٣٦٥) الذوق: يرتبط الذوق بالشُّرب في اللغة الصوفية، ومقصدهم بهذين اللفظين هو التعبير عما يجدونه من ثمرات التَّجلي، ونتائج الكشوفات، وبوادر الواردات التي تتوارد عليهم من عالم الروح، والذوق سابق على الشرب (الرسالة القشيرية ص ٣٨- ٣٩)

فَلاَ شَوْقَ، وإذْ لاَ شَوْقَ فَلاَ مُعَذَّب(٣٦٦) لِفَوَاتِه. وكُلُّ مُقَدَّرٍ(٣٦٧) وَجَبَ وُقُوعُهُ باعْتِبَارٍ، وأَمْكَنَ باعْتِبَارٍ، فَلاَ يُنَافِي كَوْنَه باخْتِيَارٍ. وفيمَا ذَكَرْنَا كِفَايَةٌ لِمَنْ تَيَسَّرَ لَهُ، ولاَ ينجع أكثر من ذَلكَ لِمَنْ تَعَسَّرَ عَلَيْه، وباللهِ الْعِيَاذُ مِنَ التَّقْصِير، [فإنَّ بِيَدِه تَيْسِيرَ كُلِّ شَيْءٍ عَسِيرٍ،](٣٦٨) وهُوَ الْمُسْتَعَانُ، وعَلَيْه التُّكْلاَنُ، إنَّـهُ حَسْبُنَا ونِعْمَ الْوَكِيلِ.

تَمَّتْ الرِّسَالَةُ الْمَوْسُومَةُ(٣٦٩) بالقَضَاءِ والقَدَرِ
للشَّيْخِ كَمَالِ الدِّينِ عَبدِ الرَّزَّاقِ رَحِمَهُ الله رَحْمَةً وَاسِعَةً!

---

(٣٦٦) خ م: فلا تعذب بفواته وكل ، خ ب: فلا تعذب وكل

(٣٦٧) خ ب، خ م: وكل ذلك بقدر

(٣٦٨) خ م: ما بين القوسين ساقط

(٣٦٩) خ ب: ونعم الوكيل تمت الرسالة في القضاء والقدر ، خ م: المستعان وعليه التكلان تمت الرسالة بعون الله. وحسن توفيقه والحمد لله أولاً وآخراً ظاهراً وباطناً، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين.

أهم المصادر

- القرآن الكريم
- كتب الصحاح والمسانيد
- الأصفهاني . الراغب – مفردات ألفاظ القرآن
- الآمدى . سيف الدين – أبكار الأفكار فى أصول الدين. تحقيق أحمد محمد المهدي –القاهرة– دار الكتب والوثائق القومية– ١٤٢٣ هـ –٢٠٠٢ م
- ابن عربي .
  - الفتوحات المكية
  - فصوص الحكم
  - كتاب المسائل
  - إنشاء الدوائر
- ابن منظور . جمال الدين– لسان العرب
- بروكلمان . كارل – تاريخ الأدب العربى. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. الهيئة المصرية للكتاب ١٩٩٥
- الجرجاني . علي بن محمد – كتاب التعريفات
- الحكيم . سعاد. المعجم الصوفي – بيروت – دار دندرة للنشر

- الرازى- **الأربعين في أصول الدين**. القاهرة الكليات الأزهرية ١٩٨٦
- السهروردي . شهاب الدين يحيى- **مجموعة مصنفات شيخ إشراق**- تحقيق هنري كربيم- القاهرة الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٠م
- الشعراني. **الطبقات الكبرى**
- القشيري. عبد الكريم بن هوازن

  - **الرسالة القشيرية في علم التصوف** – بيروت – دار الكتاب العربى
- الكاشانى. عبد الرزاق كمال الدين

  - **اصطلاحات الصوفية** – تحقيق محمد كمال إبراهيم جعفر. دار المعارف ١٩٨١
  - شرح منازل السائرين للهروي
  - شرح فصوص الحكم لابن عربي
- **كتاب الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة**. ضمن عقائد السلف. تحقيق النشار والطالبي. مكتبة الإسكندرية ١٩٧١م
- الميداني- أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري- **مجمع الأمثال** – تحقيق نعيم حسين زرزور- بيروت- الكتب العلمية- ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م

الفهرست

الموضوع	الصفحة

